حياتي

جابر بن سالم بن موسى القحطاني

العبيكان
Obeikan

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القحطاني: جابر سالم موسى

حياتي./ جابر سالم موسى القحطاني.- الرياض، ١٤٣٥هـ

٢٠٠ ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٨-٦٣٦-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- القحطاني، جابر سالم موسى - مذكرات ٢- الأطباء السعوديون

أ- العنوان

ديوي ٩٢٦,١ رقم الإيداع: ١٤٣٥/١١٢١

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

الناشر العبيكان للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩ ص. ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى من ربَّتني بعد أمي...

أختي فاطمة..

أسكنها الله الفردوس الأعلى من الجنة..

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة

المقدمة ٩
نشأتي ١١
دخولي المدرسة الابتدائية..... ٢٣
الدراسة في المرحلة المتوسطة ٣٦
الدراسة في المرحلة الثانوية ٤٣
الدراسة الجامعية ٥٥
تخرجي في كلية الصيدلة ٦٧
الابتعاث إلى الخارج لدراسة الدكتوراه ٨٧
رحلتي مع أصدقائي..... ٩٣
حصولي على درجة الدكتوراه وعودتي إلى أرض الوطن ١٢٣
اكتشاف مركب سعودين ١٤٠
تدريب طلاب السنة النهائية في مصانع الأدوية العالمية ... ١٥٨
المشروعات البحثية التي عملت بها في كلية الصيدلة ١٦١
بعض الصعوبات التي واجهتني خلال رحلات المشروعات البحثية... ١٧٧
مشروع إنشاء حديقة للنباتات الطبية بمنطقة عسير ١٩٠
أسرتي ١٩٣
شكر وتقدير ١٩٤
نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية للدكتور جابر القحطاني.... ١٩٥

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

بـدأت حياتـي بالكفاح منذ وفـاة والدتي تغمدها الله بواسـع رحمته، وأنا في سن الرابعة.

وبعـد أن تقاعـدت قـررت أن أجمـع كل مـا مـررت به خلال مسـيرتي بدءاً من مغادرتي القرية التي ولدت بها (تمنية) والغربة في سـنوات مبكـرة، وما أعقبها مـن مراحل مختلفة في الدراسـة والعمل الوظيفي والبحث العلمي.

إن الهدف من هذا الكتاب هو إعطاء أبنائنا وأحفادنا دروسـاً في الصـبر والكفاح من أجل الوصـول إلى المكانـة المرموقة التي يريدها كل إنسان لنفسـه، ومن ثم يفيدون بها المجتمع وأن يكونوا راضين عن أنفسهم وأن يقدموا شيئاً لمجتمعهم ووطنهم.

لقـد عانيت منـذ طفولتي ضـنك الحياة إلا أننـي بتوفيق الله وبالعزم والإصرار استطعت التغلب على كل ما واجهني من مصاعب من أجل الوصـول إلى الهدف الذي كنت أنشـده، وهو الذي جعلني أحقق ما أصبو إليه.

لقد كانت أول جائزة أحصـل عليها في سـنوات طفولتي الأولى بمنزلة الحافز القوي الذي جعلني أثابر وأستمر، وكان توجيه والدي تغمـده الله برحمتـه ودعم إخواني علـي ومحمد له الأثـر الأكبر في

مسيرتي التعليمية، وكان لأختي فاطمة رحمها الله دور كبير في تعويضي عما عانيته من يُتْم بعد وفاة والدتي حيث كانت الأم والأخت.

لقد تحدثت في هذا الكتاب عن دراستي بدءاً من المرحلة الابتدائية، حتى حصولي على درجة الدكتوراه، ثم مواصلة الحياة الأكاديمية في الجامعة، حتى وصلت إلى درجة أستاذ، وقدمت في هذا المجال الشيء الكثير للطلاب وللجامعة وللمجتمع.

ومن خلال سرد أبحاثي ورحلاتي العلمية داخل المملكة وخارجها، وما واجهته من صعوبات كان بهدف أن يأخذ الجيل الحالي درساً في الكفاح والصبر للوصول إلى مبتغاه.

كل حصيلتي العلمية خلال مسيرة حياتي قدمتها للمجتمع عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة بهدف توعية المجتمع، والكثير من المؤلفات ليستفيد منها المهتمون والمتخصصون والباحثون والطلاب.

في ختام هذه المقدمة المتواضعة أود أن أقول: إن الوصول للمجد لا يأتي إلا بالكفاح والصبر، كما قال الشاعر:

لا تحسبن المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

والله ولي التوفيق،،،

أ.د. جابر بن سالم القحطاني

نشأتي

ولدت في قرية آل علي في منطقة تمنية التي تبعد عن مدينة أبها 50 كيلومتراً تقريباً عام 1945م. وقرية آل علي تقع ضمن مجموعة قرى صغيرة هي دار عثمان وآل ينفع وآل القرن والقارية وآل جليحة. هذه القرى التي حباها الله الجمال تقع على خط دائري، وتقع مزارعهم في وسط هذا الخط، فإذا زُرعت المزارع في فصلي الشتاء والصيف رأيت منظراً خلاباً لا مثيل له. توجد أكثر من عشرين قلعة أثرية تحيط بهذه المزارع وآبار مليئة بالمياه العذبة الغزيرة في وسط المزارع. والخط الدائري الغربي لهذه القرى عبارة عن سلسلة من الهضاب تخرج منها ينابيع المياه على هيئة عيون غزيرة تسيل في مزارع هذه القرى. منازل قرية آل علي عبارة عن قصور مرتفعة لا تقل عن أربعة أدوار في الغالب، الدور الأرضي للمواشي والدور الأول للحبوب ومكان مخصص لطحن الحبوب، والدور الثاني للمجالس، والدور الثالث لغرف النوم، والدور الرابع عبارة عن مطبخ كبير، والجزء الآخر منه عبارة عن شماسية بشكل مثلث يشبه البلكونة الكبيرة يجلسون فيها في فصل الصيف والمطبخ يطل عليه.

كان جدي موسى بن سرحان رحمة الله عليه كبير قومه وقدوتهم، حيث كان نائب القرية، وهو الذي كان يتولى شؤون القرية، ويقضي بينهم، وكان رجلاً شديداً حكيماً، ولديه سجن في

منزله الكبير يسجن فيه من يخالف القوانين والأعراف، ويصرّف أمور القرية في كل شيء، والمبعوثون من إمارة أبها يأتون إليه، كذلك جامعو الزكاة، أي إنه الرجل المسؤول أمام حاكم عسير في ذلك الوقت. كان حسن بن عايض حاكم عسير في ذلك الوقت يستعين برأي جدي موسى بن سرحان في كثير من المشكلات، لدرجة أن والدي عندما رُزق بمولود أسماه جدي حسن على اسم حسن بن عايض.

قرية آل علي في تمنية (صورة حديثة)

وهنا أذكر قصة حدثت في تلك المدة، عندما تمرد عدد من أبناء القرى، فأمر حسن بن عايض بأخذ رهائن من كل قرية، وكان نصيب قريتنا أن يقوم جدي بتسليم ستة رجال، فاختار جدي ستة

من رجال القرية، وأحضـرهم إلى منزله؛ كي يأخذهم مأمور حسن ابـن عايض إلى أبها، وبينما كان جدي يجهز هؤلاء الرجال للذهاب إلى أبها هرب أحدهم من نافذة المجلس، ولم يتمكنوا من الإمساك به، فما كان من جدي إلا أن قال لوالدي: جهز نفسك يا سالم؛ لتكون بدلاً من الرجل الهارب، فقال رجال القرية لجدي: لا يمكن أن يكون ابنـك بديلاً للرجل الهارب.. سـنختار لك رجـلاً آخر، فقال جدي: الرجل هرب من منزلي، ولن يكون له بديل إلا ابني سالم.

أخذ مأمور ابن عايض الرجال، ومن ضمنهم والدي إلى أبها، حيث وضـعوهم في حجز قرب قصر شدا القديم (ليس قصر شدا الحالي) وظلوا محجوزين حتى دخول الأمير فيصـل بن عبدالعزيز رحمـه الله إلى أبها، وعندها هـرب كل الرهائن من جميع القبائل، وانضمت عسير في ذلك الوقت إلى الدولة السعودية.

كان جدي رحمه الله لا يخشى في الله لومة لائم، فكان معروفاً لدى قـرى تمنية بعدلـه وحكمته وقضـاء حاجة المحتـاج والعناية الشديدة بأمور الأيتام والأرامل، وقد كانت وفاته مصاباً جللاً.

كان جدي حريصاً على تعليم أبنائه القرآن الكريم، وما تيسر من العلم آنذاك، وكان في تمنية أشـخاص يقومون بتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة. فألحق جدي والدي بهذه الكتاتيب، ومن خلال ذلك تعلم والدي القراءة والكتابة وحفظ القرآن كاملاً. تـزوج والدي قبل والدتي ثـلاث مرات، ورزق ببعض الأبناء الذين

توفاهم الله لاحقاً، بعد ذلك تزوج والدتي، وكأي شخص في تلك المدة، وفي تلك القرى كان العمل الرئيس منحصراً في الزراعة ورعي المواشي، وقد كافحا سوياً، حيث كانت المرأة تشارك الرجل الأعمال اليومية وأعباء الحياة، ورزقا بستة من الأبناء.

حدثت نقطة تحول غيرت مجرى حياة هذه الأسرة، حيث أصيب والدي بجرح في رجله أدى إلى تآكل لحم الساق، حيث أصبح مقعداً لا يستطيع المشي على الإطلاق، وكانت أمي رحمها الله هي التي تعمل على خدمته. ومكث والدي مقعداً مدة سنة بعد تجربة كثير من الأعشاب لعلاج جرح ساقه التي لم يعد فيها سوى العظم، وقدر الله أن يدخل ضيفاً قادمٌ من مكان بعيد يريد الذهاب إلى الحج، وكان أي مسافر يمكن أن يستضاف عند طرقه لباب أي منزل، فنظر إلى أبي وهو ملقى على الفراش، ونظر إلى ساقه، وقال: خذوا جذور (عبابة) ودقوها، ثم ضعوها لبخة على الساق، واستمروا عليه يومياً حتى الشفاء بإذن الله.

لم يعرف والدي اسم هذا النبات، وقال للضيف: من أين نحصل على هذا النبات؛ لأن هذا الاسم غير معروف لدينا. فقال الرجل: إن هذا النبات موجود لديكم، لقد شاهدته قبل أن أطرق بابكم، وقال الضيف لأبي: أرسل معي هذا الطفل، وهو يعنيني؛ لأنني كنت الوحيد مع والدي في تلك اللحظة، فذهبت معه، وأراني ذلك النبات، ثم سافر، وفعلاً بعد عودة والدتي من عملها في جمع الحطب قال والدي لأمي: خذي جابر معك؛ ليريك ذلك النبات الذي

وصفه الضيف، وخذي منه كمية كبيرة لنبدأ العلاج، وفعلاً ذهبت مع والدتي، وجمعت كمّاً من النبات، وبدأنا نستعمل العلاج كما ذكر الضيف. وفعلاً استمر والدي في العلاج، حتى شفي تماماً. من ذلك الوقت بدأت أعشق الأعشاب؛ لأن هذا العشب بعد الله كان السبب في شفاء والدي ليقوم، ونفرح به، وتفرح والدتي التي كانت تقوم بكل شيء، وهو مقعد.

منذ نعومة أظفاري كنت أحب النباتات، وأعشقها أيّاً كان نوعها، وأذكر عندما كنت طفلاً في القرية قبل وفاة والدتي وقبل رحيلنا إلى مدينة أبها أنه كان لدى والدي أرض زراعية تعيش على مياه الأمطار، وكانت مزروعة بالقمح في فصل الشتاء، وبجوار هذا الزرع هضبة صغيرة، ويوجد تحتها مساحة صغيرة (4 أمتار مربعة تقريباً) ملاصقة لزرع والدي، عندما بدأ والدي ببذر بذور القمح في أرضه أخذت منه قليلاً من البذور؛ لكي أزرعها في المساحة الصغيرة، وبالفعل زرعتها في اليوم نفسه الذي زرع فيه والدي أرضه، وكنت أذهب يوميّاً أراقب متى سينبت هذا القمح الذي بذرته، وبعد أسبوع تقريباً بدأ ينبت، وكان جميلاً جدّاً، كنت أتعجب منه وأمسح عليه بيدي وأقول له:

متى سأرى سنابلك، وبدأ يكبر وأنا أراقبه يوميّاً، وفي ذات يوم، وعندما كنت أمسح بيدي على القمح، وإذا بوالدي يفاجئني، ويسألني: ماذا تفعل هنا؟ ومن زرع هذا القمح الجميل؟ فقلت له: أنا يا أبي، فقال: يا بني، ماذا فعلت به ليكون أفضل نموّاً من الذي

زرعنـاه؟ فقلت لوالدي وببراءة الأطفـال: كنت يا أبي، آتي كل يوم، وأمسح عليه بيديّ، وهذا ما جعله جميلاً.

عندمـا كنّـا في القريـة كنت أصـعد دائماً إلى سـطح منزلنا المكـوّن من أربعـة طوابق لأسـتمتع بمنظر المزارع، وهـي في أوج جمالها على عكس إخوتي الذين كان هذا الأمر بالنسبة إليهم أمراً عاديـاً، لدرجة أنني فكرت في زراعة سـطح المنـزل؛ لأنه كان من الطين، كنت أحب تسـلق الأشجار لأرى منظر الأرض المزروعة من الأعلى.

بعـد قيـام والدي من مرضـه، ماتت والدتي بعد 4 أشـهر من شـفاء والدي، حيث أصـيبت بالزائدة الدودية التي لم تكن معروفة آنذاك، وكان ذلك في يوم الخميس؛ ونظراً لعدم وجود مستشـفيات في ذلـك الوقت، فقد توفيت صـباح يوم الجمعة، حيـث لم يمهلها المرض أكثر من عشـرين ساعة، كان الموت صدمة لوالدي وأختي الكبيرة ذات الاثني عشـر عاماً، ولا سـيما أن والدتي تركت رضيعة في شهرها الخامس، وأخي عبدالله في سنته الثانية وأنا في الرابعة من العمر وأخي محمد في السابعة، وأخي علي في التاسعة، أي إننا سـنكون عبئاً كبيـراً على أختي الكبرى، ووالـدي لا يزال في مرحلة الاستشفاء بعد معاناته من المرض، وكانت جدتي طاعنة في السن، وتحتـاج إلى مـن يرعاها، ولكن أشـقاء والـدي وزوجاتهم وبناتهم كانوا يسعون لخدمتها. لقد قاسينا اليتم حقّاً بعد وفاة والدتي.

مكثنا سنة كاملة في قريتنا، وفي ذات ليلة جمعنا والدي، وقال: سنغادر القرية إلى مكة المكرمة من أجل العلم، حيث لا يوجد في تمنية إلا مدرسة واحدة، ولكنها غير نظامية، وقال: سأحاول الحصول على عمل في مكة المكرمة، وقرر والدي أن نسافر في الصباح، وأن نترك أختي فاطمة وعائشة في القرية، في تلك الليلة لم أنم، حيث كنت أفكر في أختي فاطمة التي كانت بمنزلة الأم على الرغم من صغر سنها، وكيف يكون حالها هي وأختي الرضيعة عند رحيلنا، كنت أفكر في قسوة الأيام عليها، كيف تركتها والدتي، ثم والدي، وكنت أفكر في سفرنا الطويل إلى مكة المكرمة.

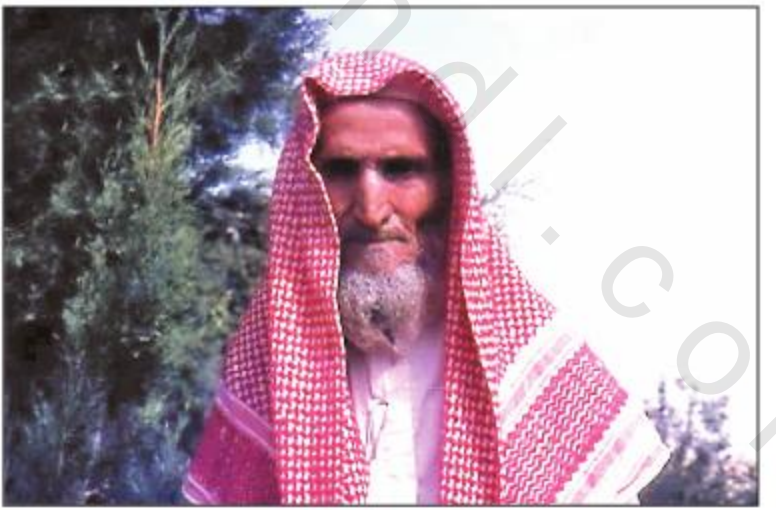

والدي رحمه الله عام 1977م

أخذنا والدي إلى أبها، وترك أختيَّ لدى عمي في القرية مقرراً أنه بعد استقرارنا في مكة المكرمة يرسل لعمي بإحضارهما، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. عندما رحلنا إلى أبها كنت أفكر هل هي جميلة كجمال قريتنا، وعندما سافرنا إلى أبها، ونحن في الطريق كانت الأشجار منتشرة في كل مكان، فتوقعت أن تكون أبها جميلة.

وصلنا مدينة أبها بعد سفر يوم كامل، وكانت هناك امرأة من جماعتنا مقيمة في أبها مع ابنها، وهي مطلقة، وتعمل في المنازل من أجل تأمين لقمة العيش لها ولابنها. ذهب بنا الوالد إلى هذه المرأة، ورحبت بنا، وأكرمتنا، وكانت ساكنة في غرفة واحدة ومجلس فقط. مكثنا لديها ثلاثة أيام، حتى حصل والدنا على سيارة نقل تسافر إلى مكة المكرمة.

دفع والدي أجرة النقل لصاحب السيارة، وركبنا السيارة، وكان ذلك في عصر يوم الأحد، وركبنا في صندوق السيارة مع عدد كبير من الناس، وكانت السيارة المسافرة بالركاب لا بد أن تقف عند إدارة الشرطة؛ لتسجيل أسماء الركاب المسافرين. وعندما كان سائق السيارة يقدم معلومات لإدارة الشرطة عن الركاب أصابني أنا وإخواني خوف شديد من السيارة ومن زحمة المسافرين، وكنت حينها مصاباً بالرمد، فاشتد علي الألم في عينيّ، وبدأت أبكي بصوت عالٍ، وبدأ والدي وإخوتي يحاولون إسكاتي من البكاء، حيث

أزعجت الركاب. جاء رجل يعرف والدي، وقال له «يا سالم، اتقِّ الله في أولادك أين تذهب بهم، المسافة إلى مكة المكرمة طويلة، وابنك هذا الذي يبكي بصوت عالٍ، وهو مصاب بالرمد ستعاني، ويعاني الركاب من بكائه اتقِّ الله وامكث في أبها حتى يشفى ابنك، واستخر الله في جلوسك أنت وأولادك في أبها أو السفر إلى مكة المكرمة. استجاب والدي لرأي هذا الرجل، وكذلك لرأي الركاب الذين معنا، حيث نصحوا والدي بالبقاء في أبها بدلاً من السفر الطويل إلى مكة المكرمة. نزلنا من السيارة، وعدنا إلى المرأة التي كنا عندها، وفي طريق العودة شاهدنا ابنها، فذهب إليها مسرعاً، وقال لأمه: «لقد عادوا إلينا».

فما كان من المرأة إلا أن أغلقت دارها، واختفت لأنها لا تريدنا البقاء لديها، وأنا في الحقيقة لا ألومها؛ لأن العدد مكون من خمسة أشخاص، وهي وابنها في غرفة واحدة شيء لا يحتمل. مكثنا مع والدنا عند باب هذه المرأة؛ لعلها تعود، وتفتح لنا الباب، ثم حان وقت صلاة العشاء، فذهبنا مع والدنا إلى المسجد لصلاة العشاء، وفي المسجد وجد والدي شخصاً يعرفه، حيث سأل والدي عن سبب مجيئنا إلى أبها، فذكر له والدي قصة موت والدتي وقصة مجيئنا إلى أبها، وكان الهدف السفر إلى مكة المكرمة، ثم ذكر أننا لم نجد مأوى نأوي إليه، وقال والدي: سنحاول النوم في المسجد حتى الصباح لنبحث عن مأوى آخر. قال الرجل: «يوجد شخص قريب من المسجد، ومن جماعتكم، وسماه لأبي، فما كان

مـن أبـي إلا أن أخذنا إلى هـذا الرجل الذي رحب بنـا هو وزوجته وأولاده، وقدم لنا وجبة عشـاء على قدر ما عنده، وقال: «يا سـالم، نحن مسـافرون غـداً أنا وأولادي إلـى قرية قريبة من أبها تسـمى العطف، وسـوف نترك هذا المنزل، إذا لكم رغبة في السـكن فيه، وإلا فسـوف أسلمه لأصـحابه». ففرح والدي كثيراً، وحمد الله على هـذا الفـرج الذي أزاح عنه همّـاً كبيراً في العثور على سـكن. وفي الصباح الباكر ذهب والدي إلى الإمارة لعله يجد أحداً من جماعتنا في الإمارة، حيث كانوا يأتون إلى أبها لحل مشكلاتهم مع الآخرين، وفعلاً وجد شخصـاً من جماعتنا، وسـأله: متى سيعود إلى القرية؟ فقال له الرجل: سوف أعود اليوم. طلب والدي من الرجل أن يذهب إلى عمي في القرية، ويطلب منه الحضـور إلى أبها مصـطحباً معه أختيَّ فاطمة وعائشـة، وبعد يومين حضـرتا إلـى أبها، وبدأنا حياة جديدة ومستقرة.

قابل والدي إمام مسجد في أبها، حيث طلب الإمام من والدي العمـل مؤذناً؛ نظراً لموت مؤذن المسـجد، فوافـق أبي على الفور، وبدأ يمارس الأذان (كان الناس يطلقون على والدي «سـالم المذن (المؤذن)») وأصـبح معروفاً لأهالي أبها بهذا الاسم، وعاد والدي إلينا فرحاً، وقال: سوف نستقر يا أولادي، في أبها، وسوف تذهبون إلى المدرسـة، والحمد لله الذي فرج كربتي. بعد ثلاثة أشـهر من اسـتقرارنا في أبها، توفيت أختي الصغيرة عائشة من جراء إسهال وجفاف شـديد أصـابها. قرر والدي بعد سـنة من وصولنا إلى أبها

تطهيرنا (ختاننا) حيث دعا أعمامنا وأخوالنا وأقاربنا من القرية لحضور مناسبة ختاننا، وحضروا وأقيم حفل الختان، وتم في يوم الإثنين، وكان حفل الختان الذي يقام عادة في فصل الصيف يتم عندما يكون عمر الطفل فوق السابعة، وكان الختان يتم بطرق بدائية، يمكث الطفل أسابيع عدة تحت العلاج حتى يشفى تماماً. وفي يوم الختان يقوم الأقارب بإهداء الطفل المختون نقوداً كثيرة، وبالأخص إذا لم يبكِ عندما يقوم الختّان بختانه، وكان عيباً أن يبكي، الطفل المختون، أذكر أنه عندما كان الختّان يختنني كانت هناك امرأة فاضلة في نافذة تطل على الساحة التي أختن فيها، وكانت تشجعني، وترمي بالنقود فوق رأسي من نافذتها.

عندما قرر والدي الاستقرار في أبها كنت أتمنى أن نسكن في منزل به شجرة كبيرة، ولكن مع الأسف لم تتحقق هذه الأمنية، حيث إن المنازل التي عشنا فيها لم يكن بالإمكان الزراعة فيها عدا الأسطح التي يمكن أن أزرع في أحواض صغيرة الريحان والنعناع. ذهبت إلى الوادي لأبحث عن صفائح كبيرة لكي أملأها بالتراب، وأزرعها، وبالفعل وجدت ثلاث صفائح كبيرة، وملأتها بالتراب، وقررت أن أزرع في واحدة منها نعناعاً والأخريين ريحاناً، وكنت آخذ من الماء الذي تأتي به أختي فاطمة من البئر، وأسقي به الأحواض، وفي ذات يوم لاحظتني وأنا آخذ من الماء، فقالت لي: ماذا تفعل بالماء الذي أجلبه من البئر؟ فقلت لها: إنني أسقي زرعي فوق السطح، فقالت: أنا آتي بالماء من مكان بعيد، وأتعب

في جلبه وأنت تهـدره على هذه الأحواض، وقررت تدمير الأحواض لولا أنني وعدتها أن أحضـر ماء زرعي بنفسـي، وبعد شـهر تقريباً من الاهتمام بالأحواض المزروعة أصبحت كثيفة وجميلة خصوصاً النعناع، حيث كنت أتابعها يوميّاً بشـكل متكرر وأمسح عليها بيدي. كانت نافذة منزل جيراننا تطل على سطح منزلنا، وقد رأت جارتنا النعنـاع والريحـان، وطلبت من أختي أن تعطيها شـيئاً منه، فقالت أختـي فاطمة: إنـه لأخي جابر، ولا يمكن أن يعطي أي شـخص من هـذه الأحواض، حتى نحن أهل البيت لا يمكننـا الأخذ منه، فأخي جابر يعشق هذه النباتات.

دخولي المدرسة الابتدائية

قبل دخولي المدرسة كنت لا أعلم ما المدرسة والمدرسون والطلاب، وفي الليلة التي سبقت الذهاب إلى المدرسة لم أنم من الفرحة؛ لأن والدي اشترى لي ثوباً جديداً وطاقية وغترة، وقد كنت أحلم بلباسها. في الصباح الباكر أيقظتني أختي فاطمة وألبستني الملابس الجديدة، وذهبت مع والدي إلى المدرسة.

كانت المدرسة السعودية هي أول مدرسة نظامية تنشأ في عسير، وكانت في السابق تسمى المدرسة الأميرية عام 1921م ولم تكن في ذلك الوقت نظامية. عام 1935م حولت إلى مدرسة نظامية حكومية، وسميت المدرسة السعودية. هذه المدرسة كانت تقع شمال ساحة البحار في أبها، وكانت مكونة من دورين يتكون كل دور من أربع غرف، وفي الدور الأرضي يوجد مدخل فسيح مرصوف بحجر، وأبواب الغرف تفتح على هذا الممر، ومن الجزء الشمالي للمدرسة يوجد درج طويل يصعد للدور الثاني، وفي نهايته يوجد مكتب كبير مخصص لمعتمد المدرسة (مدير المدرسة)، وهناك باب بجواره يؤدي إلى منطقة فسيحة تؤدي إلى مكتب المعلمين، ويوجد فناء كبير في المدرسة يزاول الطلاب ألعابهم فيه.

بعد مقابلة والدي لمعتمد المدرسة سلمني الدي له، الذي بدوره سلمني إلى أستاذ الفصل، وهو الشيخ عبدالرحمن بن

عبدالله المطوع رحمه الله، الذي كان مسؤولا عن طلاب الصف الأول والثاني الابتدائي. ارتحت لهذا المعلم، حيث كان كبيراً في السن ذا لحية بيضاء جميلة، وقد أجلسني في الصف الثاني على أرضية مفروشة بالخصف المصنوع من سعف شجر الدوم (الخبار) الذي يشبه سعف النخل. كان عدد طلاب الفصل اثني عشر طالباً موزعين في ثلاثة صفوف، يتكون كل صف من أربعة طلاب، كان منزلنا يقع بجوار منزل الشيخ عبدالرحمن المطوع، وقد زادني ذلك فرحاً، عندما علمت أنه جارنا.

كان هذا الشيخ يعلم بنات أبها الدراسة بعد عصر كل يوم، وكان هو أول من أدخل تعليم المرأة في عسير، وكان يدرسهن في منزله، وحيث إنني أسكن بالقرب منه، فقد قال لوالدي: إذا ترغب يا سالم، في أن يحضر ابنك جابر مع البنات ليتعلم أكثر؛ لأنه طالب نجيب، قال لي والدي: ما رأيك يا جابر، في الذهاب إلى عمك عبدالرحمن لتستفيد بعد العصر، فرحت كثيراً؛ لأنني كنت أرغب في التعلم، وأكون مختلفاً عن طلاب المدرسة، وفعلاً بدأت أدرس بعد العصر إضافة إلى دراستي في الصباح، وتميزت بعد مدة عن بقية زملائي. في السنة الثانية انتقلنا إلى مدرسة تقع في جنوب حي القرى؛ نظراً لسقوط عدد من غرف المدرسة الأساسية من جراء المطر الشديد، حيث تم نقلنا إلى المدرسة الجديدة، وهي مؤجرة من السيد محمد بن حسين أفندي، وفي هذه المدرسة حضر مفتش ليقيم مستوى الطلاب الدراسي، واسم

هذا المفتش خليل رضا، دخل علينا في الفصل، وكان عدد طلاب الفصل نحو 20 طالباً، ثم قال: من يستطيع منكم كتابة كلمة لؤلؤة؟ فلم يرفع أحد من الطلاب يده، قررت رفع يدي، وذلك لما لدي من خبرة من خلال الدراسة بعد العصر لدى عمي عبدالرحمن (لا ندعوه إلا بالعم عبدالرحمن)، قال المفتش خليل رضا: تفضل يا بني، إلى السبورة، حيث ناولني قطعة طباشير، وقال: اكتب هذه الكلمة، أخذت قطعة الطباشير، وبدأت كتابة هذه الكلمة «لؤلؤة» قال المفتش: بارك الله فيك يا ابني، ثم أخرج قلمه الباركر عيار 51 من جيبه، وناولني إياه جائزة، فأخذته، وأنا أكاد أطير فرحاً بهذه الجائزة التي تُعدّ أول جائزة في حياتي، كان قلم الباركر في تلك الأيام نادراً، ولا يستطيع شراءه إلا الأغنياء خصوصاً عيار 51.

فرحت بذلك القلم، وحاولت المحافظة عليه بأقصى ما أستطيع، وفعلاً حافظت عليه مدة 9 سنوات، ثم فقدته في أثناء لعب كرة القدم، حيث كنا نبدل ثيابنا، ونتركها بجانب الملعب، ونرتدي ملابس الرياضة، ويبدو أن أحد الزملاء يراقبني، ويراقب تحركاتي، وقام بسرقة ذلك القلم الغالي علي كثيراً. قضينا في هذه المدرسة سنة واحدة، ثم عدنا إلى مدرستنا القديمة بعد إصلاح ما تهدم منها، ومكثنا فيها 3 سنوات، ثم انتقلنا إلى مبنى جديد استؤجر من الشيخ سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة، حيث كثر عدد الطلاب، ولم تعد المدرسة القديمة تتسع لجميع الطلاب.

في الصف الرابع الابتدائي اشترى والدي أرضاً في حي النُّصب في أبها، وبنى عليها منزلاً، وترك جزءاً من الأرض لتكون باحة للمنزل، ولكم أن تتخيلوا فرحتي بهذا الأمر؛ لأنه أصبح بإمكاني أن أكسو هذه الباحة بالنباتات التي أعشقها، وفعلاً قمت بزراعة شجرة رمان وشجرة تفاح وشجرة لوز وشجرة خوخ والباقي زرعته برسيماً؛ لأن البرسيم دائم الخضرة ومنظره جميل، كنت أجلب الماء من الوادي الذي كان قريباً من المنزل، وفيه ينابيع لا تنضب طوال العام، وحققت هدفي، حيث نمت الأشجار والبرسيم، وأصبحت رائعة وجميلة، وأصبحت جزءاً من جدولي اليومي، حيث أهتم بها وأرعاها، وبعد سنتين تقريباً اشترى والدي الأرض الملاصقة لمنزلنا وفتح سور فنائنا على هذه الأرض بعد أن سوّر الأرض الجديدة، وحفر فيها بئراً، اكتملت فرحتي، فقد أصبح الماء متوافراً ومساحة الأرض جيدة، كان أخي علي يحب الزراعة، ولكن ليس كحبي لها، وهذا الأمر ساعدني، حيث إن أخي علي هو من أشار على والدي بشراء الأرض المجاورة وحفر البئر، وكان أخي يعلم أنني مغرم بالنباتات وبالزراعة، ولهذا أحضر لي سماداً وأدوات للزراعة، وبالفعل زرعنا الفواكه والخضراوات.

عام 1955م سقطت أمطار غزيرة على مدينة أبها، واستمرت أربعة أيام دون انقطاع، وبسببها سقط كثير من المنازل، واختلطت المزارع ببعضها، حيث إن الأمطار والسيول غيرت معالم الأرض، كان منزلنا مكوناً من طابقين، والطابق الثاني لم نسكنه بعد؛ لأنه

كان حديث البناء وغالبية منازل جيراننا قد سقطت، طلب الجيران من والدي أن يسكنوا معنا لحين انتهاء الأزمة، فوافق والدي على الفور، وأذكر أنه سكن معنا في البيت أربع عائلات، كل عائلة في غرفة (كان منزلنا يحتوي على خمس غرف)، ونحن في الغرفة الخامسة، كانت تلك الأيام صعبة جداً، وأذكر أنني كنت أسمع البكاء في الليل والناس يدعون، ويتضرعون إلى الله. بعد توقف هطل المطر ذهبت إلى الوادي، فإذا بكثير من الأشجار قد جرفتها السيول، وقد أحزنني هذا المنظر، ووجدت شجرة رمان كبيرة وجذورها عارية، وكانت الشجرة خضراء، فقمت بسحبها جاهداً إلى أن أوصلتها إلى المنزل، وكنت أحاول إدخالها من الباب، وفجأة رآني أبي والإجهاد واضح عليّ، وقال لي: ماذا تفعل؟ فقلت: أريد أن أدخل هذه الرمانة إلى فنائنا؛ لكي أزرعها. قال لي: هذه شجرة

الوالد وبعض إخواني وأبناؤهم عام 1973م

عجوز لا تصلح للزراعة. قلت له: أرجوك يا والدي، وافق، وساعدني على إدخالها وزراعتها. (يبدو أنني كنت مصرّاً على إدخالها وهو يرفض) فضربني، ورمى بالشجرة بعيداً، وقال لي: الشجر الصغير هو الذي يمكننا زراعته، أما الكبير فلا يمكننا زراعته. كان والدي محقّاً؛ فالشجر الكبير لا يمكن زراعته خصوصاً إذا كانت جذوره عارية مدة طويلة.

في السنة الخامسة كان لدينا مدرس فاضل يدعى بخيت العواجي يدرسنا الفقه، وكان يسمّع لنا درس الفقه، وكان يجلس على كرسي بعيداً عن جدار الغرفة بنحو متر، وقد أعتدنا في بعض الأيام إذا كان الدرس صعباً ألا نحفظه، ويتفق اثنان من الطلاب.. الطالب الذي عليه الدور أن يقف أمام المدرس، ويبدأ تسميع الدرس، وزميله الذي اتفق معه يقف خلف المدرس، ويفتح الكتاب على موضوع الدرس، وقد كان ذلك اليوم هو يومي، حيث وقفت أمام المدرس، وقام زميلي محمد الحسين الحمراني، وهو من جيراننا بالوقوف خلف المدرس، وفتح الكتاب على الدرس المطلوب مني تسميعه، وبدأت أقرأ بطلاقة، لاحظ المدرس أن تلك الطلاقة في الحفظ ليست طبيعية، ولاحظ أن عينيّ مائلتان إلى كتفه الأيمن، حيث يقف زميلي فاتحاً الكتاب، التفت المدرس بسرعة إلى الخلف، فوجد زميلي فاتحاً الكتاب على الدرس المطلوب حفظه. كان هذا المدرس الفاضل يحمل في أحد جيوبه حصوات صغيرة في حجم الحمص، وكان يستخدمها في تأديب الطلاب بدلاً من

الضـرب بالعصـا، أخرج الحصـاة الأولى من جيبه، ثم طلب مني أن أعطيه أذني، وسـلمته أذني وقام بفركها بأصبعه والحصى حتى خـرج الدم، ثم كـرر ذلك مع زميلي الذي كان يغششـني، وجُرحت أذني، وأذن زميلي، ومكث الجرح أياماً عدة على الرغم من العلاج؛ لأن الحصـاة التي كان يسـتخدمها الشـيخ بخيت رحمة الله عليه، وأسـكنه فسـيح جناته كانت ملوثة، حيـث كان يلتقطها من الأرض قبل وصوله إلى المدرسة.

كما ذكرت سـابقاً كانت أختي فاطمة بمنزلة الأم والأخت بعد وفـاة والدتي، كنت أحبها كثيـراً، وأتألم عندما أراها حزينة، كانت تعتنـي بي كثيـراً، وتودعني صـباح كل يوم عند ذهابي للمدرسـة، وتوصيني، وتنصحني.

عام 1951م تقدم شخص لخطبة أختي فاطمة، فاجتمع والدي معنا، وأخبرنا بذلك على الرغم من أننا في سن الطفولة، وكان وقع هذا الخبر كالصـاعقة؛ لأنني سـأفقد أمي وأختي التي كانت تبعث في نفسـي السـعادة والأمل، ولم أنم طوال تلـك الليلة من الحزن، وكنـت أفكر في حياتي بعد زواجها، حتى إن كانت في أبها، فسـوف تكون في منزل آخر، كنت أفكر في الشخص الذي سيرعاني بعدها، ومن سـيودعني صـباح كل يوم، وأنا ذاهب إلى المدرسة. تزوجت، وتركـت فراغاً كبيراً في حياتـي أكبر من فراغ موت والدتي. تعودت بعد زواجها أن أعتمد على نفسي، وكانت دائماً عندما تزورنا تتفقد أغراضـي وتعطيني كمّاً كبيراً من النصـائح، أذكـر عندما ذهبت

للدراسة في جدة كنت أدّخر من مكافأتي الشهرية (راتب الغربة) لأشتري هدية لأختي فاطمة، فقد أهدتني الحب والأمل والصبر. جمعت مبلغاً لا بأس به، وتوجهت للصاغة في جدة بعد انتهاء الدراسة، واشتريت سواراً من الذهب، وعند عودتي لأبها ذهبت إليها، وأعطيتها الهدية، فبكت كثيراً، وضمتني. كم كانت سعادتي كبيرة بفرحتها!.

في مرحلة الدراسة الابتدائية كنا نفرح بالإجازة الصيفية كثيراً حيث كنا نسبح في الغدران المنتشرة في أبها آنذاك، وكنا نمارس عدداً من الألعاب المشهورة في ذلك الوقت ونذهب إلى البساتين لنأكل من بعض الفواكه المحلية مثل الخوخ والمشمش والرمان والعنب والتين وخلاف ذلك. وكان في مدينة أبها بستان كبير خاص بأمير المنطقة وكان الأمير في ذلك الوقت هو تركي بن أحمد السديري ويسمى ذلك البستان «الطبجية» وهو بستان كبير يحتوي في داخله على بستان أصغر منه فيه فواكه غريبة، مثل الكمثرى التي يسميها الأهالي عرنوط، وهي كلمة تركية محرفة من كلمة عرموط. قررت أنا وأحد أصدقائي غزو ذلك البستان المحصن الذي لا يستطيع أحد دخوله، ولم نكن نعلم أن هذا البستان لأمير المنطقة، وكانت هناك فتحات في أرضية سور البستان لخروج مياه الأمطار، قررت أنا وزميلي الدخول إلى البستان من خلال تلك الفتحات، ونجحنا في الدخول بشق الأنفس؛ لأن أجسامنا كانت صغيرة، حيث كنا في العاشرة من العمر.

وعندما دخلنا البستان رأينا أشجار الكثمرى (العرنوط) المليئة بالثمار، ورأينا أشجار العنب وهي محملة بعناقيد العنب الذي لم نَرَ مثله في حياتنا، ذهب زميلي إلى أشجار العنب، وأنا ذهبت إلى أشجار الكمثرى وبدأ كل منا يقطف الأفضل من الفواكه، وفجأة فُتح باب البستان، وهجم علينا حارس البستان هجمة شرسة إلا أنه لا يستطيع أن يمسك الاثنين، فقام بمطاردتي، وترك زميلي ليذهب مسرعاً إلى الفتحة التي دخلنا منها، وأنا ذهبت إلى السور وتسلقته، ولكنه أمسك بي قبل أن أهرب، وأخذني إلى خارج البستان، وذهب بي إلى رجل ضخم الجثة جالس بجوار مجرى مائي على سجادة حمراء تركية الصنع، وكان يأكل شيئاً لم أعرف ما هو. أجلسني بجانبه، وقال الحارس: هذا الصبي يا طويل العمر، دخل البستان الداخلي الخاص، وأخذ بعض الكمثرى، وكان معه صبي آخر، ولكنه هرب.

وبدأ هذا الشخص الضخم يسألني: لماذا دخلت البستان؟ فقلت له: من أجل معرفة الفواكه التي بداخله، حيث إن سوره وأشجاره تختلف عن بقية البساتين التي نعرفها. أخذ حصاة صغيرة في حجم حبة الحمص، وبدأ يفركها بأصبعه في أذني، ويسألني: ألا تخاف عندما غامرت، ودخلت البستان من العقاب؟ فلم أستطع الرد عليه وألم أذني يزداد شدة. ثم قال: كُلْ من القثّاء، فلم آكل؛ لأنني لم يسبق لي أن رأيتها من قبل، وقال مرة أخرى: كُلْ وهو يزيد ضغط الحصاة على أذني، حتى سقطت على فخذي أول قطرة دم

مـن أذني، وعندهـا توقف، وقال: لماذا لا تبكـي ألا يؤلمك؟ فقلت: بلـى، وأنـا أرتعش، فقال: لماذا لـم تبكِ؟ فقلت: إن أبـي يقول لنا: لا تبكوا، فالبكاء ليس للرجال، سـألني قائـلاً: «هل تدرس؟ فقلت: نعم، فقال: في أي صف؟ فقلت: في الصف الرابع الابتدائي، فقال: هل أنت مجتهد؟ فقلت: نعم، وفعلاً كنت مجتهداً في الدراسـة، ثم قال: هـل والداك على قيـد الحياة؟ قلت: أمي توفيـت عندما كنت في الرابعة من عمري، فسـكت قليلاً، ثم استدعى الحارس، قائلاً: يا حمود، أحضـر لنا بعض العنب والكمثرى، عرفت حينئذ أن اسم الحارس هو حمود، غاب الحارس قليلاً، ثم أحضر عناقيد عدة من العنب وبعض حبات من الكمثرى (العرنوط) في سـلة صـغيرة من الخصف، وقال: تفضل يا طويل العمر.

كانت ركبتي اليسـرى ملتصـقة بركبته اليمنى، ثم وضـع يده اليمنـى على كتفي، وقال: «هل تعرف من أنـا» فقلت له: لا، وأنا في الحقيقة صـادق، فقال: أنا تركي السـديري، وعندما سمعت تركي السـديري بـدأت أرتجف بقـوة؛ لأنني عرفـت أني بين يـدي أمير المنطقـة، ولاحـظ هو شـدة خوفي، وقـال: لا تخف يا ولـدي، لعل قطـرة الدم التي نزلت من أذنك تكون لك درسـاً كبيراً، لا تعد إلى مثل هذا العمل. ثم قبلني على خدي الأيسـر، وقال: خذ هذه السـلة مـن الفاكهة لـك ولأهلك، فأخذتها وأنا أرتجـف رجفة فرح، وليس كالسـابقة رجفة خوف، وذهبت مسرعاً إلى المنزل، وأنا أكاد أطير من الفرحة، وأخبرت والدي بالقصة، فعاقبني عقاباً لا أنساه.

أذكـر في تلك المدة وعام 1953م تحديداً فجع أهل أبها بوفاة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه، حيث قام المنادي بإعلان الخبر، وتجمع الناس في ساحة البحار (ساحة المناسبات الرئيسة في أبها) والحزن والخوف يعتريهم، وأعلن المنادي أن صلاة الغائب ستكون في اليوم المقبل على الفقيد في ساحة البحار. أذكر أن الناس يعزون بعضهم في المنازل وفي كل مكان، بعد هذا الخبر بأيام نادى المنادي بأن مبايعة سعود بن عبدالعزيز ملكاً للبلاد ستكون في اليوم المقبل، وطلب المنادي من الجميع التوجه غداً لساحة البحار، لمبايعة الملك.

في الصف السادس طلب منا مدرس الإنشاء كتابة موضوع إنشاء عن «الممرضات» فكتبت موضوعاً جيداً، حيث قبل أسبوع من طلب المدرس الكتابة عن هذا الموضوع قرأت مقالاً في مجلة المصور المصرية عن الممرضات اللائي أطلقوا عليهن لقب «ملائكة الرحمة» وكتبت في الموضوع أن في المستشفيات ممرضات لا يذوقن النوم إلا غراراً؛ حرصاً منهن على الخدمة والعناية بالمرضى؛ لذا سُمّينَ ملائكة الرحمة. قدمنا أوراقنا إلى مدرس الإنشاء. وفي اليوم المقبل أحضر مدرس الإنشاء أوراقنا، ثم ناداني، وقال: «أنت يا جابر، كتبت موضوعاً ممتازاً عن الممرضات، لم أكن أتصور أن طالباً يستطيع كتابة مثل ذلك الموضوع» ثم نزع قلمه الباركر من جيبه، وناولني إياه، وسلمني أربع كراريس هدية من المدرسة. فرحت فرحاً شديداً، وكانت هذه

ثاني جائزة أحصل عليها في الدراسة الابتدائية، ومن وقتها بدأت أفكر في الجوائز -بإذن الله- التي سأحصل عليها في المستقبل، حيث كنت الوحيد من طلاب المرحلة الابتدائية الذي حصل على جائزتين مهمتين.

الشهادة الابتدائية: كانت تشكل لجنة من الوزارة مكونة من رئيس المحكمة ورئيس البلدية، ورئيس الشرطة، ورئيس المدرسة العسكرية وعضو من الإمارة، هذه اللجنة هي لجنة مراقبة الامتحان التحريري والشفهي في الشهادة الابتدائية، وكانت أوراق امتحانات الطلاب في الشهادة الابتدائية ترسل إلى الوزارة للتصحيح وإعلان نتائج الناجحين عن طريق الإذاعة، وكان من يحصل على الشهادة الابتدائية في ذلك الوقت، كأنما يحصل على الشهادة الجامعية أيامنا هذه، حيث كان من يحصل على الشهادة الابتدائية يعمل مدرساً في المدرسة الابتدائية، أو يعمل موظفاً في إحدى الدوائر الحكومية آنذاك.

ويشير الناس إليه بالبنان، وكان غالبية المدرسين الذين درسونا في المرحلة الابتدائية من حملة الشهادة الابتدائية، وكانوا متميزين في تدريسهم؛ لأن دراستهم كانت قوية جدّاً، لدرجة أنني كنت في الصف الثالث الابتدائي أكتب رسائل للجيران المقيمين في أبها إلى ذويهم في مختلف مناطق المملكة، وكما ذكرت سابقاً أن الشهادة الابتدائية في عصر جيلي كانت ربما تعادل الشهادة

الجامعية حالياً، بل ربما أقوى. كان ترتيبي في الشهادة الابتدائية الثاني والعشرين بعد المئة من بين عدد الطلاب الناجحين في المملكة، وعددهم خمسة آلاف ناجح. كان أغلب خريجي الشهادة الابتدائية يتوظفون، وبعضهم يلتحق بالمدرسة العسكرية، حيث فُتحت في أبها عام 1952م، والقليل من يواصل دراسته للمرحلة المتوسطة، فكنت من الطلاب الذين فضلوا الالتحاق بالمدرسة المتوسطة.

obeikandl.com

الدراسة في المرحلة المتوسطة

كان عدد الطلاب الذين واصلوا الدراسة في المرحلة المتوسطة قليلاً جدّاً؛ لأن بعضهم توظف وبعضهم الآخر التحق بالمدرسة العسكرية التي فتحت في أبها وبعضهم الآخر التحق بمعاهد المعلمين والمعاهد العلمية بسبب أن هذه الجهات كانت تمنح مكافآت شهرية، ولم يتبقَّ إلا نحو 10 طلاب هم من واصلوا دراستهم في المرحلة المتوسطة. خلال السنة الأولى من المرحلة المتوسطة درسنا في مدرسة جديدة قرب المدرسة الابتدائية، وهي مدرسة مؤجرة من الشيخ سعيد بن عبدالوهاب أبو ملحة، وكانت هذه المدرسة حديثة البناء ومكونة من عدد كبير من الغرف، ولها فناء واسع (نزاول فيه الألعاب الرياضية) محاط بسور يصل ارتفاعه إلى متر ونصف تقريباً.

في الصف الأول المتوسط تقلص عدد الطلاب إلى سبعة طلاب، حيث فضّل ثلاثة من الطلاب عدم مواصلتهم للدراسة، إضافة إلى الطلاب الراسبين.

كانت هناك مفاجآت كثيرة في المرحلة المتوسطة، أولها المدرسون حيث كانوا جميعاً من الجنسية المصرية، ولم يكن بينهم أي مدرس سعودي بعكس الابتدائي، واختلفت المناهج، فكانت هناك مادة اللغة الإنجليزية ومادة الجبر، وكانت من المواد

الغريبة علينا. وكنّا نتلهف لمعرفة هذه اللغة الجديدة علينا وعلى المجتمع ومعادلات مادة الجبر أيضاً. وتعرفنا إلى اللهجة المصرية من خلال المعلمين، فمثلاً كلمة (كويّس) وكلمة (إزّيّك) كانت كلمات جديدة، وأصبح الطلاب يتداولون تلك اللهجة.

والشيء الجديد أيضاً في المرحلة المتوسطة وجود مكتبة في المدرسة، حيث نستطيع الاستعارة منها ما نشاء في شتى العلوم والمعارف، أدخلت مادة التربية البدنية في هذه المرحلة، حيث لم تكن موجودة في المرحلة الابتدائية، ومن الرياضات التي أذكرها في ذلك الوقت الجمباز والوثب العالي وكرة السلة والطائرة والقدم، وقد برعت كثيراً في ألعاب الجمباز والوثب العالي وكرة القدم، وكان هناك نشاط مسرحي لم نكن نعرفه من قبل، وكذلك الرحلات الجماعية التي كانت تقام مرات عدة خلال السنة الدراسية إلى المناطق المجاورة، مثل السودة والقرعاء والمحالة، وكنا نخيم خلال هذه الرحلات، ونزاول أنشطة كثيرة من ضمنها الكشافة.

في هذه المرحلة كان الشيخ الجليل الفاضل عبدالله بن يوسف الوابل رئيس محكمة أبها من العلماء البارزين على مستوى المملكة في علوم القرآن وتفسيره وفي الشريعة، يتولى تحفيظ من يرغب من أبناء المنطقة القرآن، وذلك بعد صلاة المغرب من كل يوم، ويستمر إلى أذان العشاء. واصلت حفظ القرآن مع هذا الشيخ

الجليل، وكنا نجلس في مسجد مناظر (أكبر أحياء مدينة أبها) حيث كان هو الإمام، وكان والدي مؤذن المسجد. بدأنا حفظ القرآن أنا وعدد من الطلاب، وكنا تقريباً في سن الثالثة عشرة، وكان معنا اثنان من الكبار هما عبدالرحمن بن حماد وعلي بن عدار.

بدأنا حفظ القرآن ابتداء من المفصّل، وعندما انتهينا من هذا الجزء من القرآن وهو أربعة أجزاء تبدأ من سورة (ق) حتى سورة الناس، ثم بعد ذلك بدأنا من سورة البقرة، كنا نحفظ ليلياً خمساً وعشرين آية، وعندما حفظت عشرين جزءاً، جاء أمر من الوزارة بإجراء اختبار لمن حفظ عشرين جزءاً، ولمن حفظ القرآن كاملاً، حيث كنت أحفظ جيداً، وأحياناً أحفظ أكثر من ربع جزء في الليلة الواحدة، وأما عبدالرحمن بن حماد وعلي بن عدار فقد حفظا القرآن كاملاً؛ لأنهما يحضران جلسة بعد صلاة العشاء في خيمة الشيخ عبدالله الوابل تغمده الله بواسع رحمته، قام الشيخ الفاضل باختبارنا، حيث يطلب من كل طالب تلاوة بعض الآيات العشوائية من مواقع مختلفة، وهكذا ينتقل من سورة إلى سورة، كنت أحفظ العشرين جزءاً حفظاً جيداً.

وبعد شهر من هذا الاختبار، استدعاني الشيخ الوابل أنا وعبدالرحمن بن حماد، وسلم لنا الجائزة، وهي عبارة عن 150 ريالاً فضة لي شخصياً وللشيخ عبدالرحمن بن حماد 300 ريال فضة، حيث كانت العملة آنذاك بالفضة (في ذلك الوقت يمكن شراء خروف بريالين فضة). كدت أطير من الفرحة، ووضعت

النقـود، وهي ثقيلـة جدّاً في غترتي، وربطتها ربطـاً جيداً، وذهبت مسـرعاً إلى أبي، وأعطيته هذه الصـرّة، وعندما فتحها، قال: «من أيـن لك هذا المبلغ الكبير؟» فقلت: هذه من الشـيخ عبدالله الوابل جائزة على حفظي عشـرين جزءاً من القرآن، قبلني أبي وبكى (لم أدرِ لمـاذا بكى) كان هذا المبلغ كبيـراً في وقتها، حيث ربما يعادل في الوقت الراهن مبلغاً كبيراً، لقد كانت هذه ثالث جائزة أحصـل عليها قبل سن الرابعة عشرة.

من الطرائف التي حصـلت لي في السنة الأولى متوسط أنني كنـت بجانـب طالب بليد في اللغـة الإنجليزيـة، وكان لدينا مدرس ذو شخصـية قوية وهيبة عظيمة اسـمه خيـري، وهو مدرس متميز في اللغة الإنجليزية، وكان الذين يدرسـوننا في المتوسط جميعهم من المدرسـين المصـريين الذين يبعثون من قبل مصـر للتدريس فـي المملكة، ويُعدّون من أفضـل المدرسـين، حيث كانـوا يُعرفون بالمدرسين الأوائل.

كان الأسـتاذ خيري مدرسـاً أول في اللغة الإنجليزية يسـألنا بالترتيـب عـن حفظ بعض الكلمات التي سـبق أن أعطانا إياها في اليوم السـابق، ولا بد أن نجيب عنها في اليوم اللاحق، كان بجانبي طالب، فسـأله عن كلمة، فلم يعرفها، فغششـته إياها، فشـاهدني الأسـتاذ خيري الصـنديد الشـديد، ودعا الطالـب، وطلب منه مد يده، فضربه خمس ضربات بخيزرانه، وبينما زميلي يتلوى، ويعصر شفتيه من شدة الضربات الخمس، قال المدرس: تعالَ يا حبيبي، يا

شاطر، يا جابر، فنهضت إليه، وقال: «مدّ يدك» فمددتها، فأعطاني خمس ضربات، كل واحدة أشد من الأخرى، وقال: هذه الضربات لقاء تغشيشك زميلك، ثم قال: مدّ يدك الثانية، فترددت في مدها؛ لأنه لم يسألني بعد، وقد أخذت حق غلطة تغشيش زميلي، وعندما لم أمد يدي أعطاني كفّاً درت على نفسي مرتين من قوة ذلك الكف، ولا سيما أن الأستاذ خيري طويل وممتلئ ويده مثل رجلي إن لم تكن أكبر. طلب مد يدي، فمددتها، وأعطاني خمس ضربات قوية مكثت أتلوى على نفسي ساعة كاملة، قلت له: ما سبب هذه الخمس؟ فقال: مزاجي أن أراك تتلوى.

في السنة الثانية متوسط، كان أحد الطلاب مهيمناً علينا وهو زميلي اللواء سعيد بن محمد أبو ملحة، وكان له ابن عم معنا في الفصل نفسه اسمه حسن أبو ملحة. زميلي سعيد أبو ملحة كان يجلس خلفي، وكلما سألني الأستاذ أي سؤال، وقمت أجاوب عليه يدفعني سعيد من رقبتي، وصبرت عليه كثيراً، وفي أحد الأيام عند خروجنا من المدرسة، وكنا ذاهبين إلى منازلنا، وكان طريقنا عن طريق الوادي (وادي أبها المشهور) وكنا وحيدين، وعندما توسطنا الوادي وجدت قرن تيس كبير من قرون تيوس ربيعة الملوية (منطقة ربيعة تتميز تيوسها بالقرون الكبيرة التي تشبه قرون الوعل) أخذت ذلك القرن، وبدأت أضرب زميلي سعيد، وهو يصيح بأعلى صوته، ولكنني استمررت في ضربه، حتى اطمأنت نفسي، ثم افترقنا، وهو يبكي، وأنا أضحك. بعد يومين من هذه

الحادثة، كنا في الفصل وقرع الجرس معلناً خروج الطلاب للفسحة مدة 15 دقيقة، خرج الطلاب من الفصل مسرعين، كنا نجلس على منضدات كل منضدة تتسع لطالبين. كنت جالساً على المنضدة من جانب جدار الفصل، وكان بجانبي زميلي حسن ابن عم سعيد، جلس ولم يقم، وأنا لا أستطيع الخروج من مقعدي حتى يزيح نفسه من طريقي، وفجأة قام سعيد، وقفل الباب وأخرج ربلاً مطاطيّاً من بقايا إطار السيارات من جيبه بطول 70سم تقريباً، وكان قد شق جيبه ليخفيه فيه ماسكاً ذلك الربل بيده في جيبه المشقوق، ثم جاء إلي، حينها عرفت أن هناك مؤامرة من الأخوين ضدي، وفعلاً نزع الأخ سعيد يده من جيبه، وكان ممسكاً بذلك الربل القوي، ثم قام ابن عمه حسن أمامي؛ لكي لا أخرج من المقعد، وقام سعيد بضربي، وأنا أصيح، ولا أحد يستطيع سماع صوتي، وضربني ضرباً مبرحاً في رأسي وفي يدي وفي ظهري، وعندما شفى غليله تركني، وأنا لا أستطيع الحراك، وقال: أتذكر قرنك قبل يومين؟ هذا مقابل ذاك.

في الصف الثالث متوسط كان سعيد يجلس خلفي مباشرة، وكان لدينا مدرس يدعى تاج يدرس الهندسة والجبر، كان المدرس وهو مدرس أول يكتب معادلة على السبورة، وسمع مشادة خصام، وهو يكتب، فالتفت إلى الخلف، فشاهدني أنا وزميلي سعيد، ونحن نتجادل، حيث دفعني من الخلف، فتوجهت له، وبدأنا في المضاربة. أخرجنا الأستاذ تاج أمام الطلاب، ثم طلب مني فرد يدي، ففردتها، فضربني بشدة، ثم طلب من سعيد فرد يده، ففردها، وأعطاه مثل

ما أعطاني، ثم فتح باب الفصل، ورمى بكل منا خارج الباب. نزلت أنا وسعيد إلى فناء المدرسة، ونحن نبكي، وظللنا واقفين بجانب بعضنا، وفجأة ضحكنا بشدة، ومنذ ذلك اليوم أصبحنا صديقين أكثر من أخوين، وأصبحنا نحب بعضنا، وما زلنا حتى اليوم، حيث يُعدّ من أعز أصدقائي وأوفاهم.

كان اختبار الكفاءة المتوسطة يقام في المدرسة العسكرية مع طلابها، ويشكل لهذا الاختبار لجنة من الجهات الحكومية في أبها، انتهينا من أداء الامتحان لهذه المرحلة، وقد كنت مطمئناً كثيراً من خلال إجاباتي، ظهرت النتيجة، حيث نجح كثير من الطلاب، وأنا منهم، وبدأت مرحلة جديدة في حياتي.. إما الوظيفة أو إكمال الدراسة، حاول أخي علي وفقه الله ترغيبي في الوظيفة، حيث أشار عليّ بوظيفة جيدة في محكمة أبها إلا أنني فضلت الاستمرار في الدراسة، حيث إنني كنت أتطلع إلى الحصول على أعلى درجة علمية، وكان ذلك هدفي.

بعد حصولي على شهادة الكفاءة المتوسطة، حيث كان ترتيبي الثالث والعشرين من بين الناجحين، وعددهم 950 طالباً من مختلف مناطق المملكة. حيث أعلنت النتيجة في الإذاعة. كانت شهادة الكفاءة مهمة جداً، فالدوائر الرسمية تسعى لتوظيف من يحصل على هذه الدرجة، كثير من زملائي توظفوا، والقليل منهم واصل الدراسة.

الدراسة في المرحلة الثانوية

واصلت دراستي في ثانوية أبها، وهي الوحيدة في عسير آنذاك. الشيء الجديد في المرحلة الثانوية هو مادة اللغة الفرنسية التي كانت تُدّرس في ذلك الوقت مقرراً أساسيّاً، كنا فخورين حقيقة بدراسة اللغة الإنجليزية والفرنسية، وكان هناك أيضاً مواد جديدة مثل الفيزياء والكيمياء والبلاغة والرياضيات والأحياء.

في الصف الأول الثانوي كان لي زميل عزيز على قلبي هو حمدي بن علي أبو عشي، كنت أكره التاريخ (مع العلم أنها من المقررات اللطيفة، وكان الأستاذ عبدالفتاح جابر هو الذي يدرسنا مادة التاريخ والجغرافيا)، وأحب المواد العلمية مثل الرياضيات والكيمياء والفيزياء.

في يوم من الأيام أحضر زميلي حمدي أبو عشي كتاب تاريخ ملخصاً أحضره له أخوه الطيار محمد بن علي أبو عشي، وهو من أوائل الطيارين السعوديين المتميزين الذي كان يقود طائرات مدنية. أحضره له من جمهورية مصر العربية، طلبت من زميلي حمدي أن يعطيني ذلك الكتاب؛ لأتصفحه، وأعيده له في اليوم المقبل، أعطاني ذلك الكتاب، وعند خروجي من المدرسة ذهبت إلى السوق، واشتريت دفترين من نوع مئة ورقة، ثم عدت إلى المنزل، وبدأت أنقل هذا الكتاب، ولم أنم تلك الليلة، وظللت مستيقظاً حتى أنهيت نقل الكتاب من أول صفحة إلى آخر صفحة.

لم يكن لدينا مكائن للتصوير، وليس أمامنا إلا الكتابة. في صباح اليوم المقبل أحضرت لزميلي الكتاب، وسألني: هل استطعت أن تتصفحه؟ قلت: نعم، وهو لا يعلم أنني نقلته بالحرف الواحد.

حضر مفتش مصري من الوزارة، وكنا وقتها في المدرسة القديمة، وكانت تبنى مدرسة جديدة على غرار المدارس التي تبنى حالياً، وهي للمتوسط والثانوي، حضر المفتش إلى الفصل، وبدأ يسأل الطلاب عن بعض المعلومات؟ فكانت إجاباتهم لسوء الحظ رديئة، عاد إلى جدة، حيث جاء من قبل إدارة تعليم جدة، وأوصى بأن يوضع الامتحان النهائي لهذا الفصل من مدرسة الشاطئ بجدة، وأن تحضر لجنة من إدارة تعليم جدة لإجراء الامتحان والمراقبة، وجاءت اللجنة إلى أبها، وقد اكتملت المدرسة الجديدة.

قامت اللجنة بإجراء الامتحان لنا في هذه المدرسة، ولم تضعه في الفصول، بل قامت هذه اللجنة بترتيب الطلاب، وعددهم 21 طالباً، واحداً خلف الآخر في ممر المدرسة، وكان بين كل طالب وطالب 4 أمتار، ولا يوجد طلاب مجاورون من اليمين أو اليسار ولا مجال للغش بأي حال من الأحوال. بعد انتهاء الامتحانات أخذت اللجنة أوراق الإجابة معها، وصححت أوراق إجاباتنا في مدرسة الشاطئ بجدة، وأعلنت النتائج بعد عشرين يوماً عن طريق الإذاعة، ولم ينجح إلا أربعة طلاب من بين الواحد وعشرين طالباً، حيث لم يكن هناك نظام الدور الثاني والناجحون هم أنا، وزميلي حمدي بن علي أبو عشي، وزميلي عبدالله بن محمد أبو ملحة وعبدالرحمن بن محمد الماضي.

من اليمين: منصور عبدالله الماضي، حسن محمد أبو ملحة، الأستاذ فهمي يوسف مدرس مادة الجغرافيا، جابر القحطاني، وفي الخلف من اليمين: عبدالله محمد أبو ملحة، عبدالعزيز عبدالله الماضي. اخذت هذه الصورة في ثانوية الفلاح بجدة عام 1961م.

نظراً لأن عدد الطلاب الناجحين إلى الصف الثاني الثانوي كانوا أربعة فقط، وكان عبدالرحمن الماضي يريد دخول القسم الأدبي، وحيث إنه لا يمكن فتح فصل لثلاثة طلاب (القسم العلمي) فقد ارتأت الوزارة سفرنا إلى أي منطقة تعليمية في المملكة للدراسة، ومنحتنا إدارة التعليم بأبها تذاكر إلى جدة، حيث اخترنا الدراسة فيها، وكانت الوزارة تمنحنا 150 ريالاً شهرياً بوصفها راتب غربة. ذهبنا نحن الثلاثة إلى المطار الموجود في شرق خميس مشيط آنذاك، حيث انتظرنا الطائرة نحو 6 ساعات، والذهاب إلى المطار في ذلك الوقت يُعدّ سفراً لبعد المسافة ووعورة الطريق.

وصلنا إلى المطار بعد عناء وتعب، كانت توجد هضبة في شمال المطار يوجد بها ما يشبه الكهوف، حيث كان المسافرون يستظلون في هذه الكهوف، ذهبنا إلى هذه الكهوف، وانتظرنا ما يقارب خمس ساعات في انتظار الطائرة، حيث لم يكن لها موعد محدد. وقابلنا في المطار الأستاذ حسين الأشول (كان في ذلك الوقت مدير الزراعة بأبها)، وعندما رآنا سألنا: إلى أين أنتم ذاهبون يا أولادي؟ فقلنا: نحن ذاهبون إلى جدة لدراسة ثاني ثانوي؛ لأنه لم يُفتح لنا فصل لقلة عددنا.

أخرج من جيبه ورقة، وكتب خطاباً لمدير إدارة التعليم بجدة الأستاذ عبدالله بوقس، حيث إنه يعرفه وطلب منه مساعدتنا. عندما اقتربت الطائرة من المطار وهبطت على المدرج أصبت بالذعر، حيث إنها أول طائرة أراها في حياتي، ذهبنا إلى الطائرة وصعدناها، وكانت تتسع لخمسة وعشرين شخصاً، بعد ذلك أتى المضيف الذي أجلسنا وأمرنا بربط الأحزمة، فزاد رعبي وخوفي، ثم وزعوا على الركاب أكياساً ورقية، فسألته عن فائدتها؟ فقال: هذه مخصصة للاستفراغ في حال أصابك الدوار، زاد خوفي أكثر وأكثر، فكل المؤشرات تدل على رعب قادم، ثم عاد المضيف مرة أخرى، ووزع علينا قطعاً من القطن، فسألته عن فائدتها؟ فقال: هذا القطن تسدّ به أذنيك؛ خشية أن يؤذي أذنيك صوت الطائرة. فكرهت هذه الرحلة، ثم وزعوا علينا علبة صغيرة تحتوي على خبزة محشوة بالمربى وقطعة بسكويت، أقلعنا من المطار لنهبط في

مطار بيشة، حيث يتم إنزال ركاب وصعود ركاب آخرين، وكذلك لأخذ البريد، حيث كان يوجد في أرض المطار برميل فوقه عدد من الرسائل وفوقها حجر يحميها من الرياح، ويقوم الموظف بأخذ البريد ووضع رسائل فوق هذا البرميل، أقلعنا بعد ذلك لنتجه إلى مطار جدة. عند وصولنا إلى مطار جدة فرحت كثيراً، فقد زال الرعب والخوف، لكن لا أستطيع السماع، فقد كان صوت الطائرة طوال الرحلة كفيلاً بما حدث لي من صمم مؤقت. أذكر أن مطار جدة كان منظماً ومسفلتاً ومرصوفاً، وبه عربات لنقل العفش، وبه صالات منظمة، وهناك مستقبلون ومودعون (مختلف كليّاً عن مطار الخميس).

ذهبنا بسيارة أجرة إلى شارع قابل، حيث إن أصدقاءنا الذين سبقونا قد حجزوا لنا شقة في هذا الشارع في مبنى مكون من عشرة طوابق يملكه البنك الأهلي، وأذكر منهم حلوان بن حبتر رحمه الله، وحسن بن محمد أبو ملحة رحمه الله، وعبدالعزيز ومنصور الماضي. وصلنا إلى المبنى وكانت الشقة المحجوزة لنا في الطابق الثامن، فصعدنا بالمصعد الذي كان شيئاً جديداً ومرعباً أيضاً بالنسبة إلي، فلم أكن أعرفه من قبل. في الشقة كان يوجد بلكونة أستطيع من خلالها رؤية البحر الذي لم يسبق لي مشاهدته، كان بالنسبة إلي منظراً غريباً وجميلاً أيضاً، بعد يومين انتقلنا إلى فندق النهضة الذي يتناسب مع ميزانيتنا، ثم ذهبنا لإدارة التعليم، وسلمنا خطاب الأستاذ حسين الأشول لمدير

إدارة تعليم جدة، وقد وجهنا إلى مدرسة الشاطئ بجدة، في اليوم الثالث ذهبنا إلى مدرسة الشاطئ بجدة وقابلنا مديرها، ووجهنا إلى الفصل الخاص بثانية ثانوي قسم علمي. دخلنا الفصل، وقد لاحظنا أن طلاب الفصل أغلبهم كبار في السن، ونحن بجانبهم عبارة عن أطفال، كانوا يدخلون من نافذة الفصل بدلاً من الدخول من باب الفصل، وكانوا يمدون أرجلهم على الطاولات في وجه المدرس، وكان المدرسون يخافون من هؤلاء الطلاب، وقد لاحظنا أن هؤلاء الطلاب لم يأتوا إلى المدرسة ليدرسوا، وإنما جاؤوا للفسحة على المدرسين، ونحن لم نعتد على مثل هذا الوضع، وكانوا إلى حد ما يشبهون طلاب (مدرسة المشاغبين) عندما شاهدت تلك المسرحية لاحقاً. ذهبنا إلى مدير المدرسة، وقلنا له: إننا لا نستطيع الدراسة مع أولئك الطلاب، وقد تغربنا عن أهلنا من أجل العلم، وكذلك لا نرغب المكوث في هذه المدرسة.

فقال: ارجعوا إلى مدير إدارة التعليم، واطلبوا منه نقلكم إلى مدرسة أخرى. ذهبنا إلى مدير إدارة التعليم، وذكرنا له مشكلتنا، وأننا لا نرغب الاستمرار في تلك المدرسة، وقد وجدنا معلماً كان يجلس بجوار الأستاذ عبدالله بوقس، وقد عرفنا هذا الرجل؛ لأنه كان معتمداً في إدارة تعليم أبها، حيث كان يسمى مدير التعليم عندما كنا في الابتدائي «معتمد» وهذا الرجل اسمه عيسى فهيم، وسألنا: من أين أتيتم؟ فقلنا: أتينا من أبها، فقال للأستاذ عبدالله بوقس: اترك الموضوع لي، وأنا سوف أدبر لهم مدرسة

جيـدة بإذن الله. أخذنا إلى مكتبـه، ولاحظنا لوحة على باب مكتبه مكتوبـاً عليها «مدير التوجيه التربـوي». حرر لنا خطاباً موجهاً إلى مدير مدرسـة الفلاح الثانوية في جـدة الواقعة في حي العيدروس، واسـمه عبدالرحمن الخزامى، وبالفعل ذهبنا إلى المدرسة، رحب بنا المدير، وأخذنا بنفسـه إلى الفصـل الثاني الثانوي قسم علمي، وعندما دخلنا الفصـل وجدنـا 12 طالباً فقط وفي عمرنا وفي غاية الأدب. وأكملنا دراستنا للسنة الثانية. وقد كانت هناك جائزة تقدم في نهاية العام عن طريق القرعة لكل صف، وقد كانت تلك الجائزة من نصيبي.

أذكـر عندمـا وصـلت إلى جدة، وبعـد غياب الشـمس تتحول الطـرق في جـدة إلى لوحات مضـاءة (لوحات المحـالّ التجارية) وذلك كان غريباً عليّ.

في يوم من الأيام وكان يوم جمعة، جاء الأصدقاء إلينا، وقالوا: سـنذهب إلى الكازينو، لم أسـمع بهذه الكلمة من قبل، ولا أعلم ما الكازينو، وصـلنا إلـى الكازينو، وهو عبارة عـن مقهى على البحر، وكان بجـوار فنـدق البحر الأحمر، وكان يقدم المشـروبات الغازية والمثلجـات والشـاي والقهوة، ويوجد بـه نوافير وإضـاءات ملونة، منظـر غريب وجميـل، أتى النادل، وطلب الأصـدقاء مـا يريدون، وطلبت منه أن يحضر لي (آيسكريم) فقد أعجبني منظره، ولكنني لم أجربه من قبل، وعندما أتى به النادل، كان معه ملعقة، فشاهدت

من حولي، وإذا بهم يلحسونه بألسنتهم، ففعلت مثلهم، وفوجئت ببرودته.

أدينا الامتحان، ونجحنا، ورجعنا إلى أبها، وقمنا بالمطالبة بفتح صف ثالث ثانوي، حيث رسب اثنان من دفعة ثالث ثانوي علمي، وثالث أعاد الثانوية العامة للحصول على معدل أعلى على الرغم من أنه قد نجح في الثانوية العامة، ولكن بمعدل ضعيف. فوافقت الوزارة على فتح صف ثالث ثانوي. ودرسنا، وكان مقرر اللغة الفرنسية دون مدرس، ولم يحضر مدرس هذه المادة إلا قبل الامتحان بشهر، حيث كان يدرس اللغة الفرنسية في مدرسة اليمامة الثانوية بالرياض، وعندما أنهى المقرر في مدرسة اليمامة أرسلته الوزارة إلى ثانوية أبها؛ ليدرس ما يستطيع تدريسه من مقرر اللغة الفرنسية (لقد كنا ندرس اللغة الفرنسية ابتداء من الصف الأول الثانوي).

ولحسن حظ المدرس الذي بعثته الوزارة أنه وجدنا متمكنين جداً في اللغة الفرنسية، وخاصة نحن الثلاثة الذين درسنا في جدة. وقبل الامتحان النهائي للثانوية العامة بسبعة عشر يوماً جاء أمر من الوزارة إلى إدارة التعليم بأبها مفاده امنحوا طلاب الثالث ثانوي «توجيهي» تذاكر سفر إلى جدة؛ لتأدية امتحان الثانوية العامة في المعهد الصناعي في جدة. وقد كان ذلك القرار صدمة شديدة بالنسبة إلينا، فهل نذهب نبحث عن سكن أم نذاكر، وفي الحقيقة أثر ذلك في امتحاننا. سكنا في فندق صغير يسمى فندق

النهضة قرب الميناء، وكان أحد زملائنا له معارف في جدة، وكان من الطلاب الذين رسبوا، ولحقنا به، وكان غير آبه بالدراسة، وأحد زملائنا عمه يقطن جدة فسكن عنده، وبقينا أربعة توزعنا في غرفتين، وكانت الغرفتان متقابلتين. كان ثلاثة منا حريصين على المذاكرة، أما الرابع فكان غير ذلك.

كانت غرفته في أغلب الأوقات لا تخلو من الزائرين الذين يسهرون عنده، ولم نستطع المذاكرة من الإزعاج، فوضعنا أنا وزميلي لوحة على باب الغرفة مكتوباً عليها (رجاء عدم الإزعاج، لدينا مذاكرة)، فقام زميلنا في الغرفة الأخرى بوضع لوحة على باب غرفته كتب عليها «مرحباً ألف بزواري الكرام». قدمنا الامتحان بشق الأنفس، وظهرت نتائج الامتحان، وقد سمعنا النتيجة عندما عدنا إلى أبها في إذاعة طامي (أول إذاعة شعبية خاصة يطلقها عبدالله بن طامي عام 1960م من منزله في الرياض، وكان يبث من خلالها الأخبار المحلية) وقد نجحنا جميعاً عدا زميلنا صاحب «مرحباً ألف بالزوار» وهذه ثالث مرة يرسب فيها في الثانوية العامة، وطبعاً كان الذي يرسب ثلاث مرات في أي مرحلة يفصل من المدرسة.

من الطرائف التي حصلت في المرحلة الثانوية أننا كنا نغلق باب الفصل، وخاصة أيام البرد، حيث لا توجد تدفئة في الفصول، ولا توجد ملابس شتوية تقينا من البرد. كان هناك مدرس لغة عربية يسمى حسنين، وهو مدرس أول، كان إذا جاء إلى الباب

قال: «افتح يا حمار» ويكرر هذه الجملة كلما جاء ليدخل الفصل، في أحد الأيام قررنا أن نضع حدّاً لهذه الجملة البذيئة، كان في المدرسة فرّاش يأتي إلى المدرسة من ضواحي أبها، من منطقة تسمى «الشرف» واسم الفراش عبدالله فرثان كان يأتي راكباً على حماره إلى المدرسة، ويقوم بربط الحمار في فناء المدرسة حتى يعود عليه إلى منزله بعد انتهاء دوام المدرسة.

قبل مجيء الأستاذ حسنين إلى الفصل بعشر دقائق، ذهب اثنان من الطلاب، وأحضرا الحمار إلى الفصل، ثم أغلقا الباب تاركين الحمار خلف الباب مباشرة، جلس الطلاب في مقاعدهم، ثم جاء مدرس المادة الأستاذ حسنين، وقال جملته المشهورة: «افتح يا حمار» رد أحد الطلاب عليه قائلاً: «إنه مفتوح» دفع الأستاذ باب الفصل الذي كان مردوداً فعلاً، فإذا به بالحمار وجهاً لوجه، وخرج مسرعاً إلى الدور الثاني وهو المكان الذي يقع فيه مكتب مدير المدرسة، وكان المدير في ذلك الوقت الأستاذ علي السهيّان، قام الطالبان وأخذا الحمار بسرعة، وردّاه مكانه، وربطاه مثلما كان، وعادا إلى مكانيهما وردّا الباب، أتى مدير المدرسة مع المدرس حسنين وفتح المدرس حسنين الباب، وقال: شوف الحمار يا بيه».

فقال المدير: أين الحمار؟ فقال المدرس: «كان هنا يا بيه» فقال المدير: هل رأيتم حماراً في الفصل كما يزعم الأستاذ حسنين؟ فرد الطلاب: أي حمار تعنون نحن في انتظار الأستاذ حسنين ليعطينا الدرس؟ قال المدير: «يبدو يا أستاذ حسنين،

أنه تهيأ لك شـيء» وأخذ المدير يتحسـس بيده على جبين الأستاذ حسـنين؛ خشـية أن يكون مريضـاً، ويرغب في أن يعرف إذا كانت درجـة حرارتـه مرتفعـة أم لا. وقال لـه المدير: إذا كنت مريضـاً فبإمكانك الذهاب إلى منزلك للراحة.

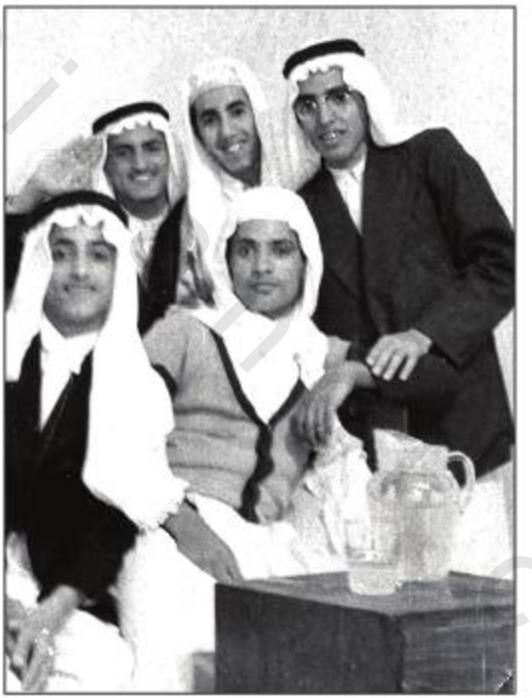

أخذت هذه الصورة في ثانوية الفلاح في جدة عام 1961م ويظهر فيها من اليمين وقوفاً: عبدالعزيز بن عبدالله الماضي – منصور بن عبدالله الماضي – حسن بن محمد أبو ملحة، وجلوساً من اليمين جابر القحطاني – عبدالله بن محمد أبو ملحة.

أخذت هذه الصورة في جدة وأنا في الصف الثاني الثانوي عام 1961م.

أذكر عندما بدأت الدراسة في الثانوية درسنا مادة الأحياء، كنت مغرماً بهذه المادة؛ لعلاقتها بالنبات، وطوال السنوات الثلاث التي قضيتها في المرحلة الثانوية كنت أحصل على أعلى درجة في مادة الأحياء، أذكر في الصف الأول الثانوي أن طلب معلم الرسم من الطلاب أن يقوم كل طالب برسم منظر يختاره الطالب، فنظرت من النافذة، ورأيت عدداً من أشجار الرمان العارية من الأوراق، ولم يتبقَّ إلا بعض الثمار، حيث إن أوراق الرمان تتساقط في فصل الشتاء، قمت برسم تلك الأشجار كما هي، وقدمتها للمعلم، فدُهش، وقال لي: كيف تخيلت هذا المنظر؟ فقلت له: انظر من النافذة، فنظر وإذا به يشاهد المنظر نفسه تقريباً. فقال لي: هل أنت محترف؟ لم أكن حينها أعرف معنى هذه الكلمة، فقلت له: وما معنى محترف؟ فقال: أعني أنك مبدع في الرسم، وأعتقد أنك تهوى الرسم. فقلت له: نعم، وطلب مني أن يحتفظ بذلك الرسم.

الدراسة الجامعية

بعد حصولي على الثانوية العامة قسم علمي مكثت طوال شهري الصيف أفكر في التخصص الذي أنوي الالتحاق به، ولا سيما أنه لا يوجد من يوجهني، فكان كثير من أقاربي ينصحونني بأن أتوظف، حيث إن المجال متاح جدّاً لمن يحصل على الثانوية العامة آنذاك، ولكن الشيء الذي زادني قوة على مواصلة الدراسة هم إخواني الذين كانوا في السابق يشجعونني على الوظيفة، ولكنهم أصبحوا ينصحونني بإكمال الدراسة حتى أحصل على أعلى الشهادات، وهذا في الحقيقة هو هدفي منذ أن كنت في المرحلة الابتدائية، وهذا الأمر زادني قوة ورغبة في الحصول على ما يتمنونه لي، ووافق طموحي.

كانت جامعة الملك سعود التي أنشئت عام 1957م هي أول جامعة سعودية، وقد بدأت هذه الجامعة بكلية الآداب، حيث التحق بها واحد وعشرون طالباً. عين الأستاذ الدكتور عبدالوهاب عزام مديراً للجامعة، وعام 1958م أنشئت كلية العلوم، وكان عدد طلابها لا يزيد على عشرة طلاب، وفي هذا العام عين معالي الأستاذ ناصر المنقور نائباً لمدير الجامعة بعد وفاة الدكتور عبدالوهاب عزام المفاجئة، وعام 1959م أنشئت كلية التجارة وكلية الصيدلة، وعام 1960م صدر المرسوم الملكي الكريم بناء على قرار مجلس الوزراء

بالتصديق على نظام الجامعة، وفي العام نفسه عين الدكتور عبدالعزيز الخويطر أمينا عامّاً للجامعة، وقد وصل عدد طلاب الجامعة في هذا العام إلى 541 طالباً منهم 390 طالباً سعودياً، بعد ذلك أصبح الدكتور عبدالعزيز الخويطر وكيلاً للجامعة بعد أن غادرها الأستاذ ناصر المنقور.

سافرت أنا وزميلي محمد بن عبدالوهاب أبوملحة إلى الرياض التي لم يسبق لنا زيارتها في رحلة استغرقت ثلاث ساعات على متن طائرة الداكوتا وكانت رحلة متعبة جدّاً، نظراً لكثرة المطبات الهوائية، وأيضاً تتمتع بخدمات رحلة جدة نفسها من القطن والأكياس الورقية والوجبة.. إلخ، كان خط سير الرحلة من أبها إلى الرياض يمر عبر نجران، حيث تتوقف الطائرة، وتنزل ركاباً وتأخذ ركاباً.

عند وصولنا مطار الرياض (القاعدة الجوية حالياً)، استقللنا سيارة أجرة، وطلبنا من السائق أن يوصلنا إلى فندق متواضع في سعره، أخذنا إلى فندق في وسط البطحاء اسمه فندق النصر، كان موقعه جيداً؛ نظراً لقربه من السوق، حيث يطل على شارع البطحاء العام وقريب من المواصلات. في اليوم المقبل استقللنا سيارة أجرة أنا وزميلي، وذهبنا إلى الجامعة، كان العمران في الرياض متناثراً والبنيان قليل جدّاً، وصلنا إلى الجامعة التي تقع في حي الملز، حيث كانت كلية الآداب والتجارة في مبنى واحد شمال شارع

الجامعة وغرب شارع الستين حالياً، وكلية الصيدلة والعلوم تقعان في الجهة المقابلة جنوب شارع الجامعة، ذهبنا إلى مكتب شؤون الطلاب الذي يقع في مبنى كلية الصيدلة، حيث كان هذا المبنى يتضمن كلية الصيدلة وإدارة الجامعة وإدارة شؤون الطلاب وإدارة شؤون الموظفين ومكتبة الجامعة المركزية، قمنا بتسليم أوراقنا إلى إدارة شؤون الطلاب المسؤولة عن القبول، وكانت رغبتي في ذلك الوقت أن أدرس الطب، ونظراً لعدم وجود كلية طب في ذلك الوقت قررت أن أدرس في كلية العلوم؛ لوجود مواد متخصصة في النبات، ولكن بعد معرفتي أن كلية الصيدلة تدرّس الأحياء، ويوجد بها قسم للعقاقير حولت قبل بدء الدراسة إلى كلية الصيدلة، وأيضاً يوجد في كلية الصيدلة كثير من المواد التي تُدرّس في الطب، مثل علم الأمراض والتشريح وعلم الأدوية والميكروبولوجي والصحة العامة.

بعد أن انتهينا من التسجيل تم تحويلنا إلى إدارة الإسكان التي كانت تقع في فيلا غرب كلية العلوم (كلية العلوم ملاصقة لكلية الصيدلة من الجنوب)، استقبلنا الأستاذ فتحي سليمان وكان مسؤولاً عن إسكان الطلاب، في ذلك الوقت كان القبول والحصول على سكن في الجامعة سهلاً جدّاً، فليس هناك نسبة محددة للالتحاق بالجامعة، فالمهم أن يكون الطالب قد حصل على شهادة الثانوية العامة. ذهبنا مع الأستاذ فتحي إلى فلل في منطقة تسمى البحر الأحمر في الملز قرب حديقة الحيوان في شارع الأحساء،

كانت هذه الفلل قد بنيت لكبار موظفي الوزارات، عندما نقلت الوزارات إلى الرياض، وتم إسكاننا في إحدى هذه الفلل، حيث إن هذه الفلل كانت تحوي كثيراً من الطلاب. كانت الجامعة في ذلك الوقت تصرف مكافأة شهرية مقدارها 120 ريالاً، وكذلك تأمين السكن والمواصلات من الجامعة وإليها. كان عددنا في الغرفة أربعة أشخاص، وفوضنا أحدنا ليتولى التدبير المالي الشهري لنا من حيث الأكل وخلافه، حيث حددنا أن يدفع كل شخص 100 ريال شهرياً للمصاريف، ويتبقى 20 ريالاً مصروفاً خاصّاً مدة شهر كامل.

في أول يوم دراسة أتت الحافلة إلى موقع السكن الساعة السابعة صباحاً، ثم ذهبنا إلى الكليات، حيث إن الدراسة تبدأ في الثامنة صباحاً، دخلت كلية الصيدلة أبحث عن القاعة الدراسية، فإذا بأحد الأساتذة يقول: هل أنت طالب جديد؟ فقلت له: نعم، فقال: الدراسة في كلية العلوم، فقلت: أنا أدرس في كلية الصيدلة، فقال: أعلم، ولكن السنة الأولى في كلية الصيدلة هي سنة إعدادية، وطلاب كليتي الصيدلة والعلوم يدرسون هذه السنة في مكان واحد في مقر كلية العلوم؛ لأن المواد التي ستدرسها هذه السنة هي مواد أساسية للصيدلة، وهي الفيزياء والكيمياء والأحياء والنبات، فإذا نجحت في هذه المواد عندها ستأتي لكلية الصيدلة، غادرت إلى كلية العلوم، وسألت أحد الطلبة هناك: أين يدرس طلاب السنة الإعدادية لكلية الصيدلة؟ فقال: في مدرج عزام.. طبعاً أنا لا أعرف ما معنى مدرج، ذهبت حيث أشار إليّ بأصبعه، ودخلت،

فوجدت صفوفاً خشبية متدرجة، كل صف يسع نحو عشرين طالباً، ويوجد عشرون صفّاً، حيث تتدرج الصفوف إلى أعلى، أخذت مكاني في الصف الأول، وكان عدد الطلاب اثني عشر طالباً تقريباً، عرفت منهم اثنين من أبها من الدفعة التي سبقتني يدرسان في الصيدلة، ولكنهما رسبا في السنة الإعدادية، سررت كثيراً عندما شاهدتهما وهما كذلك؛ لأنهما لم يكونا يعتقدان أنني سأدخل كلية الصيدلة، كانت المحاضرة عن الفيزياء، وكان الذي يدرس المادة دكتور مصري اسمه جابر.. سررت لأن اسمه كاسمي، وقلت في نفسي: إن شاء الله سأحقق ما حققته يا دكتور جابر، بعد انتهاء المحاضرة قال الدكتور: اذهبوا إلى المختبر.

ذهبت إلى المختبر الذي كان غريباً عليّ، فلم يسبق لي أن شاهدت مختبراً من قبل، وبدأ المعيد يشرح لنا تجربة عن الموازين، بدأت أتعرف إلى المختبرات وقاعات الدراسة والطلاب، وهكذا استمررت في الدراسة للسنة الإعدادية، ونجحت بحمدالله بتقدير جيد جدّاً، وفرحت بالعودة إلى كلية الصيدلة لدراسة المواد التخصصية.

في هذا العام ضرب الطيران المصري مدينة أبها وبعض القرى المجاورة ظنّاً منهم أن البدر حميد الدين مختبئ هناك، كنت في الرياض، ولا يوجد أي وسائل اتصال لأطمئن على أهلي، كنت أسمع عبر المذياع الأخبار، وعلمت أن الطيران ضرب مستشفى أبها العام؛ ظنّاً منهم أن البدر مختبئ فيه، كانت حالتي لا توصف،

حيث إنني كنت في انتظار أي أخبار تؤكد لي سلامة أهلي، كان أخي الكبير محمد منتدباً إلى مستشفى نجران، وكان أخي عبدالله يدرس الثانوية في الطائف، وقد كنت مطمئناً عليهما، كانت أياماً صعبة بالنسبة إلي، فقد مات في هذه الغارات الكثير من الأبرياء، سواء في المستشفى أو السوق أو حتى في بعض القرى، كان الرعب في أبها لا يوصف حيث هجر الأهالي مدينة أبها، وتوجهوا للقرى، كانت الضربة قبل الاختبارات النهائية بشهر تقريباً، عشت ذلك الشهر في ألم شديد.

عدت إلى أبها بعد نهاية الاختبارات مباشرة، وأنا في أشد الشوق للاطمئنان على الأهل والأقارب، وكان في استقبالي أخي علي الذي حمدت الله أنه بخير، وقد طمأنني على الجميع، عندما دخلت على والدي حضنني، ودموعه تنهال من عينيه، وأنا كذلك أشد منه؛ لأنني في الحقيقة كنت مشتاقاً لرؤيته خصوصاً في مثل هذه الظروف التي مرت بها أبها، قضيت أياماً ممتعة في وسط أهلي، وبعد انقضاء الإجازة عدت للرياض.

عدت إلى الرياض لإكمال الدراسة، وكانت الكلية مكونة من أربعة اقسام هي:

- قسم الكيمياء، الصيدلية.
- قسم علم الأدوية.
- قسم العقاقير.
- قسم الصيدلانيات.

مع الأخ العزيز محمد الشغرود – الرياض 1962م.

إضافة إلى مواد خارج تخصص الأقسام مثل التشريح والأنسجة وعلم الأعضاء والميكروبات وعلم الأمراض والسموم والإسعاف الأولي والمعايرات الأحيائية والإحصاء الحيوي والصحة العامة والمحاسبة.

درست مواد الأقسام الأربعة على مدى ثلاث سنوات، وأذكر ممن قاموا بتدريسي في الكلية د. أحمد أبو عوف، د. محمد عامر، د. محمد السباعي، د. أحمد فرغلي، د. محمد زهير البابا، د. أحمد فرج، د. محمد أمين الخيال، د. صالح قعدان، د. داود يونس حداد، د. عبدالعزيز عبدالرحمن.

في السنة الثانية قررت الجامعة إلغاء سكن الطلاب والنقل بسبب لا نعلمه، وتم زيادة المكافأة 100 ريال لتصبح 220 ريالاً، وعلى الطالب أن يتدبر أمر سكنه ونقله، كان هذا القرار صدمة كبيرة للطلاب المغتربين، حيث كانوا ينعمون بسكن جيد ومواصلات ميسرة، قمنا بالبحث عن سكن في الموقع نفسه الذي كنا نسكن فيه بسبب القرب من الجامعة، ووُفّقنا في العثور على ملحق مكون من غرفتين ودورة مياه ومطبخ وفناء صغير ملاصق للفيلا التي كنا نسكنها من قبل.

كان مالك الملحق الشيخ محمد السدحان الذي كان يعمل في المراسم الملكية، وهو والد كل من الدكتور عبدالرحمن والأستاذ مصطفى، سعدنا كثيراً بهذا السكن، حيث كان من جيراننا الشيخ فيصل المعمر، والشيخ محمد الماضي، والشيخ أحمد القاضي وأخوه عبدالله والشيخ أحمد الشلفان، وكانوا كرماء جدّاً ودائماً يسألون عن أحوالنا، ويدعوننا لمناسباتهم، وكان الشيخ فيصل ابن معمر هو أكثر من يتفقد أحوالنا، وكان لنا بمنزلة الأب، كنا نذهب يوميّاً مشياً إلى الجامعة، حيث كانت المسافة تقريباً أربعة كيلومترات، أي إننا نمشي يوميّاً ثمانية كيلومترات.

في أحد الأيام كنت في مختبر الكيمياء نجري تجارب مخبرية، وكان أمامي جهاز تقطير، وكان في أحد أنابيب الجهاز انسداد لا أعلمه، وكنت واقفاً أراقبه، وأتعجب لماذا لم يبدأ التقطير، وفجأة أحسست بألم شديد في ظهري، فذهبت إلى عمود كان بعيداً عن

رحلة جامعية إلى الخرج، ويظهر من اليمين ابن أحد الموظفين
عبدالرحمن عثمان - علي شامان - عبدالله البدر - جابر القحطاني جالساً عام 1964م.

مع الأخ محمد الثميري في الرياض عام 1963م.

الجهاز؛ لأسند ظهري عليه، وأحاول تطبيب ظهري على العمود؛ لعل الألم يختفي، وبمجرد وصولي إلى العمود، انفجر الجهاز كأنه قنبلة، وتطايرت شظايا الزجاج، وسبحان الله لو أنني مكثت مكاني لتقطع وجهي وصدري من الانفجار، ولكن سبحان الله لقد جاء هذا الألم في ظهري فجأة ليحميني الله عز وجل من هذا الانفجار، وكان شيئاً مذهلاً. صدقوني أنه بمجرد انفجار الجهاز لم أعد أشعر بأي ألم في ظهري، وأحمد الله الذي وقاني من ذلك الانفجار.

طلابي في مختبر قسم العقاقير عندما كنت معيداً، ويظهر في الصورة على يميني الدكتور إبراهيم المشعل عام 1967م.

التدريب الميداني: كان طلاب كلية الصيدلة يقضون 500 ساعة تدريباً في صيدليات المستشفيات قبل التخرج. كان تدريبي في صيدلية مستشفى أبها العام، وقد تدربت في صيدلية المستشفى خلال فترة الصيف. رأيت العجائب من خلال تدريبي في الصيدلية، ومن هذه العجائب أن جاءني مريض بوصفة كتبها له أحد الأطباء، وكانت الوصفة عبارة عن ميكروكروم (مطهر الجروح) وجهزت له الميكروكروم، ثم شرحت له كيف يضع الميكروكروم على الجرح، وعندما انتهيت من الشرح، قال لي: «يا دكتور، ليس لدي أي جروح، إنني اشتكي حموضة في المعدة».

فذهلت، كيف وصف له الدكتور هذه الوصفة، خرجت من الصيدلية، وأخذت المريض معي، وطلبت منه أن يريني الطبيب الذي كتب له الوصفة، أخذني إلى الطبيب الذي كتب له الوصفة، وكان باكستاني الجنسية، فتحدثت معه باللغة الإنجليزية، وقلت: له على أي أساس وصفت لهذا المريض هذه الوصفة؟! فقال: وصفتها للجرح الذي في معدته، قلت: أي جرح وهو لا يشكو أي جروح خارجية؟

وهذا العلاج لو استخدمه عن طريق الفم، فإنه سيقضي عليه لا محالة، وقال: أنا متأسف لقد أخطأت، أخذت المريض إلى طبيب آخر ليكتب له العلاج الخاص بالحموضة، وطلبت من المريض أن يذهب إلى مدير المستشفى ويرفع شكوى ضد هذا الطبيب الذي

قد لا يكون طبيباً، وقلت له: احتفظ بالوصفة، ولا تسلمها إلا لمدير المستشفى، ذهب المريض إلى مدير المستشفى، وكان آنذاك د. بشير حقي، وقد كان متفهماً، استدعاني مدير المستشفى، وذكرت له ما حدث، أمر بالتحقيق مع الطبيب الباكستاني الذي ثبت أنه طبيب فاشل، وأُلغي عقده بناء على هذه الوصفة التي إن استخدمها المريض داخليّاً عن طريق الفم، فإنه من دون شك سيموت فوراً.

والقصة الثانية: جاءني شخص كبير الجسم وطويل القامة ومعه وصفة، وكانت الوصفة تحتوي على حقنة فيتامين ب المركب، وهي عبارة عن حقنة صغيرة جدّاً ذات لون بني. صرفت للمريض هذه الوصفة، وطلبت منه أن يذهب إلى غرفة الضماد، ليحقن بهذه الحقنة، وعندما أخذ الحقنة مكث يقلبها بيده، ثم قال: «يا وليدي، أيش هذي؟».

فقلت: «إبرة تحقن بها وإن شاء الله تشفي مرضك بعد الله» فقال: يا وليدي، هذه الإبرة ليس بها إلا قطرات كيف تتوزع في جسمي كله، وأنت مثل ما تشوفني رجل كبير وسمين»، طبعاً لم يقتنع، فما كان مني إلا أن أخذت حقنة جلوكوز كبيرة تعطى للمرضى مغذية، وسألته فيما إذا كان مريضاً بالسكر؟ فقال: لا. قلت له: اذهب إلى غرفة الضماد، واطلب منهم أن يكسروا الحقنة الكبيرة، ثم اشربها وبعدها مباشرة أطلب منهم أن يحقنوك بإبرة فيتامين ب المركب، وسوف تقوم حقنة الجلوكوز بتوزيع هذه الحقنة الصغيرة في جميع جسمك، وبإذن الله تستفيد منها، قال: «يا وليدي، هذا هو المطلوب»، كثير من المرضى يحتاجون إلى إقناع نفسي.

تخرجي في كلية الصيدلة

تخرجت في كلية الصيدلة في اليوم نفسه الذي احتلت إسرائيل بقية فلسطين والسويس والجولان عام 1967م وكان تقديري جيد جدّاً مع مرتبة الشرف الثانية، وكنت الأول على دفعتي، وكان عدد الخريجين في تلك الدفعة 11 خريجاً.

كانت أوقاتاً صعبة ومتضاربة، كان أحمد سعيد وحسنين هيكل يكبران، ويهللان عبر إذاعة صوت العرب، ويهنئان بانهزام إسرائيل، وكانت الأغاني الوطنية تتوالى عبر هذه الإذاعة، كنت في ذلك الوقت أسكن في ملحق للشيخ محمد السدحان، وقد قابلته بعد صلاة العصر، حيث بارك لي بالنتيجة، وكانت إذاعة صوت العرب تهنئ العرب بالانتصار، فسألت الشيخ محمد السدحان بصفته مسؤولاً رفيعاً وقتها عن الحرب؟ فقال لي: يا بني، لا تصدق ما تسمعه عبر إذاعات مصر، فلقد انتهى كل شيء، واحتلت إسرائيل كل ما تبقى من أرض فلسطين، وكذلك الجولان والسويس. بعد يومين اتضحت الصورة أمام كل العرب. لقد تألم العرب كثيراً لما حدث في تلك الحرب التي قضت على أحلام الفلسطينيين، بل أحلام العرب.

كنت خلال دراستي في الكلية أدرس مادة العقاقير بشكل شبه يومي، وكنت متميزاً في هذه المادة، وبالأخص في الرسم

المجهري، كنت أنتظر يوم التخرج؛ لكي ألتحق معيداً في قسم العقاقير، حيث إن عشقي للنبات كان هو ما يقودني إلى التخصص، ولأن أعلى معدل لي كان في الصيدلانيات، فقد وجهتني إدارة الكلية إلى أن أكون معيداً فيه، إلا أنني رفضت، وطلبت تعييني في قسم العقاقير الذي هو سبب دخولي هذه الكلية، وحيث إنني كنت الأول على دفعتي، حققت الكلية رغبتي وعُيِّنت معيداً في قسم العقاقير.

كنت خلال دراستي في كلية الصيدلة منظماً جدّاً في المذاكرة، وكنت مجتهداً جدّاً في جميع المواد إلا مادة واحدة هي مادة الفارماكولوجي (علم الأدوية) والسبب أنني أكره تلك المادة؛ لأن الدكتور الذي يدرسها لم يكن موفقاً في طريقة تدريسه لها. كان امتحان جميع المواد في كلية الصيدلة مكوناً من امتحان في العملي بدرجة 100 وامتحان تحريري بدرجة 100 وامتحان شفهي بدرجة 100 أي إن درجة كل مادة 300 درجة، أما مادة الفارماكولوجي فليس لها عملي، وكانت درجتها 200 درجة، 100 للامتحان التحريري، والمئة الأخرى للامتحان الشفهي.

اختبرت كل المواد، وكانت جميعها متميزة إلا مادة الميكروبولوجي، حيث كان يدرسنا مدرس من خارج الكلية، ففي الامتحان الشفهي كانت لجنة الامتحان الشفهي مكونة من ثلاثة أعضاء (اثنان من الكلية وأستاذ لمادة الميكروبولوجي من خارج الكلية) وسُئلت كثيراً من قبلهم، وكان هناك سؤال من أستاذ المادة،

حيث سألني عن تلوث حليب البقر عند حلبها بنوع من البكتريا، وطلب مني تسميتها له؟ فسميتها له، فقال: هذا خطأ، وقد كان يعطينا مذكرات مطبوعة لهذا المقرر، وقال: استعد للمذاكرة في الدور الثاني (لأنه كان هناك دور ثانٍ). لقد كنت متأكداً من إجابتي 100% وقبل أن أغادر القاعة قلت للجنة: لقد ذاكرنا من المذكرات التي وزعها علينا، فمن فضلكم انظروا صفحة 146 من المذكرة في السطر الخامس عشر، وستجدون أن إجابتي هي البكتريا نفسها التي كتبها هو، ثم خرجت، وكنت في الحقيقة خائفاً، وقد جلست خارج قاعة الامتحان الشفهي، وكان ذلك في الفترة المسائية، وعندما انتهت اللجنة من امتحان الطلاب خرج الأساتذة، وقال أحدهم لي وهو يعرف أنني متميز: «تعالَ يا ابني جابر.. لقد رجعنا إلى المذكرة، فوجدنا أن كلامك صحيح مئة في المئة، لكن كيف تذكرت رقم الصفحة ورقم السطر». فقلت: بالمذاكرة، فقال: «برافو» وذهبت إلى المنزل، وأنا فرح جدّاً؛ لأني شعرت بالانتصار.

أما قصة مادة الفارماكولوجي التي كنت أكرهها، ففي ليلة الامتحان أخذت منهج المادة، وبدأت أذاكر، فإذا بي لا أستطيع تغطيتها؛ لأن الوقت ضيق، وكنت مهملاً فيها بعض الشيء. فقررت عمل الآتي، وطبعاً هذا بتوفيق الله عز وجل: قمت، وتوضأت، وصليت ركعتين، سألت الله أن يدبرني في مذاكرة هذه المادة، وأن يساعدني، ثم بدأت، واخترت ثمانية موضوعات من هذا المنهج، وقررت مذاكرتها فقط مذاكرة جيدة، وقلت في نفسي: إذا جاءت

الأسـئلة من هذه الموضوعات المختارة فسوف أنجح بامتياز، وإذا لم يأتِ الامتحان منها فسـوف أرسـب بامتيـاز. وفعلاً حفظت هذه الموضـوعات عن ظهر قلب، وذهبت إلـى الامتحان، وكان الطلاب خـارج قاعة الامتحـان يذاكرون قبل الامتحان، أمـا أنا فلدي عادة وهي عـدم المذاكرة لأي مادة بعد النوم، وكنت أذهب للامتحانات دون أن أحمـل معـي أي كتـاب أو أي مذكرة، والشـيء الذي أحمله قلمان والمسطرة.

كنـت أفكـر كيف سـتأتي الأسـئلة، وفُتحت قاعـة الامتحان، ودخلنـا القاعـة، وكان عددنـا 11 طالبـاً. وأخذنـا أماكننـا علـى مقاعدنا، وقامت اللجنة بتوزيع الأسـئلة. وعندما قرأت الأسئلة لم أصـدق عينيّ، حيث كان الاختبار مكوناً من خمسة أسئلة، ويشترط الإجابـة على أربعة أسـئلة فقط من الأسـئلة الخمسـة. فوجدت أن جميع الأسئلة من الموضوعات التي ذاكرتها والتي اخترتها، وبدأت أجاوب ويدي تسابقني.

كان الوقت المحدد للإجابة عن الأسـئلة 3 سـاعات، فانتهيت في نصـف الوقت، ونهضـت من مقعدي لأسـلم ورقة الإجابة لأحد أعضـاء اللجنة، فقال: الوقت مبكراً لتسليم ورقتك، هل أنت متأكد أنك أجبت عن جميع الأسئلة، ألا تريد أن تتأكد أو تراجع؟ قلت: لقد جاوبت عن جميع الأسـئلة، قام عضو اللجنة بمناداة أستاذ المقرر الـذي كنت لا أطيقه، وقـال: هذا الطالب يرغب في تسـليم ورقته، فقال أستاذ المادة: غير معقول هل انتهيت يا جابر، وأجبت عن كل

الأسـئلة؟ وأخذ الورقة من عضـو اللجنة، وجلس يلقي عليها نظرة، وكان مدهوشاً، وقال: «برافو عليك يا جابر، لم أشاهد إجابة طالب من قبل مثل إجابتك» وخرجت من القاعة، وأنا متأكد أنني سأحصل علـى 100% في هـذا الامتحان التحريري. ولكننـي كنت خائفاً من اختبار الشفهي في مساء تلك الليلة. كان النجاح في أي مادة لا يقل عن 60% كما هو معمول به حالياً.

بعد مغرب ذلك اليوم حضـرنا لأداء الامتحان الشفهي، وكنت خائفاً جدّاً، ولاسيما أن أستاذ المادة امتدحني على إجابتي، فكيف لو سـألتني اللجنة من خارج الموضـوعات التـي اخترتها وذاكرتها فقط. لقد كنت في حالة يأس.

وعندما جـاء دور دخولي علـى اللجنة، وجلسـت أمامهم قال أسـتاذ المادة لأعضاء لجنة الامتحان: «هل تعرفون أن جابر جاوب الامتحـان اليـوم في نصـف الوقت» ثـم بدأ أحـد أعضـاء اللجنة يسـألني، وأنا فـي الحقيقة كنـت أرتجف من داخلي، وكان سـؤاله حول أحد الموضوعات الذي اخترتها، وذاكرتها جيداً، وتعجبوا من إجابتي السـريعة، ثم قام العضو الثاني وطرح سؤاله، وكان السؤال أيضاً من أحد الموضوعات التي اخترتها للمذاكرة، وجاوبت بسرعة فائقة؛ لأنني ذاكرت هذا الموضوع جيداً. وأخيراً بقي أستاذ المادة ليطرح أسـئلته، حيث قال: «لا توجد معلومة يا جابر، إلا أجبتها، ثم سأل سؤاله». هل تصدقون أن سؤاله كان في الموضوع الأخير الذي ذاكرته، وجاوبت عن هذا السـؤال، ولسـاني يسابقني. ولم يتركني

الدكتـور أكمل الإجابة، وقال: «يـا ألله، يا بني، توكل على الله، وهل تعتقد أنك تسـتحق أقل من الدرجة الكاملـة؟». وخرجت وأنا أبكي من الفرح، وأشكر الله الذي ساعدني. صدقوني أن الأسئلة الخمسة التي جاءت في اختبار التحريري هي من الموضوعات التي اخترتها للمذاكرة، وهذا توفيق من الله، وأن الأسئلة الثلاثة التي سئلت فيها مـن قبل لجنة الامتحان في الاختبار الشـفهي كانت الثلاثة الباقية التي اخترت مذاكرتها.

عندمـا ظهرت النتائج حصـلت في هذه المـادة التي لم أكن أتوقـع النجـاح فيها علـى 200 من 200 درجة، وهـي المادة من بين المواد المقررة التي حصلت فيها على الدرجة الكاملة.

في هذا الوقت طلب منّا الشيخ محمد السدحان إخلاء الملحق؛ لحاجتـه لـه.. فأخلينـاه، وحاولنا العثور على سـكن فـي المنطقة نفسـها، وجدنا سـكناً مناسـباً عبارة عن ملحق كبير يملكه العقيد محمـد الدريبي في المنطقة نفسـها، وكان هـذا الملحق مكوناً من غرفتين وصالة ومطبخ ودورة مياه وسطح خاص به، شاركنا السكن أنا وشـقيقي عبدالله الأخ عبدالله بـن إبراهيم الحديثي الذي كان طالبـاً في كلية التجارة، وكذلك الأخ أحمد بن علي أبو عشـي الذي كان أيضـاً طالباً في كلية التجارة، كان السكن قريباً إلى حد ما من الجامعة، مكثنا في ذلك السـكن حتى سـفري إلـى بريطانيا، وكان أخـي عبدالله قد تخرج، وعُين في المكتبـة المركزية في الجامعة،

والأخ عبدالله الحديثي تخرج وعُين في وزارة الزراعة، وأحمد أبو عشي عُين في وزارة الخارجية.

كان الشخص الذي يُعين معيداً في الجامعة على وقتي يمكث عامين، ثم يسافر للبعثة للحصول على درجة الماجستير والدكتوراه، وكان عند تعيين المعيد في وقت إجازة الصيف تلزمه الجامعة بالإشراف على مكتبة الكلية في شهري الإجازة، حيث إن أمين المكتبة في هذا الوقت يكون مجازاً، فتوليت الإشراف على مكتبة كلية الصيدلة، كان مدير الجامعة آنذاك معالي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الخويطر، وكان منصبه باسم وكيل جامعة الملك سعود، حيث لم يكن هناك منصب مدير الجامعة، وكان معه في إدارة الجامعة الأستاذ عبدالله الوهيبي، ثم الأستاذ عبدالله النعيم.

كنت يوماً جالساً في المكتبة، فإذا بالدكتور عبدالعزيز الخويطر قد دخل المكتبة، وكنت جالساً على منضدة من حديد، وكان على المنضدة طفاية سجائر، فبعد السلام والسؤال عن المكتبة قال: «ما هذه الطفاية، هل يعقل أن يكون في المكتبة طفاية وهل أنت تدخن؟ فقلت: أنا لا أدخن، فقال لي: تخلّص من هذه الطفاية، فقلت له: (وأنتم تعرفون جميعاً دقة الدكتور الخويطر وحرصه على كل شيء) .. تخلّص منها أنت يا طويل العمر، فهي من صلاحياتك، وليست من صلاحياتي قد تكون هذه الطفاية عهدة على أمين المكتبة يسأل عنها في يوم من الأيام. فضحك، وغادر المكتبة.

كنت أدرّس علم العقاقير (عمليًّا) للطلاب طبعاً تحت إشراف الأستاذ الدكتور زهير محمد البابا، وهو سوري، وهو الذي حببني في هذا العلم، لدرجة أنني بدأت أعشق العقاقير، وكان له الفضل بعد الله في ذلك، حيث كنت أطلب من الطلاب عمل مقاطع عرضية للمواد التي يدرسونها، ويرسمون الأنسجة النباتية من المجهر. في أحد الدروس العملية قمت بعمل مقطع عرضي في وريقة (نبات السنا مكي) ثم رسمت المقطع على السبورة، ولونت حبيبات النشا باللون الأزرق كما هي تحت المجهر عند معاملة المقطع بماء اليود، حيث تصطبغ حبيبات النشا باللون الأزرق، ولونت الأوعية الخشبية باللون الأحمر. وكان المقطع على السبورة رائعاً.

جاء رئيس القسم د. داود حداد أستاذ علم العقاقير وكان يريد الحديث مع الأستاذ زهير البابا المشرف على الدرس العملي، وعندما لاحظ رسم المقطع على السبورة، توقف وقال: «أيه الحلاوة دي» وقال: «من الذي رسم هذا المقطع؟» فقلت: أنا، فقال: رسمته من الكتاب أو من المجهر؟ فقلت: من المجهر، فقال: أريد أن أرى المجهر، فقلت: تفضل، فجاء إلى المجهر، ومعه الأستاذ الدكتور زهير البابا ونظر إلى المقطع من خلال عدسات المجهر، فقال: «من عمل المقطع هذا؟» فقلت: أنا، فقال: يا ابني، حاول أن تثبته بمثبتات واحفظه في القسم عينة للمقاطع التي نادراً ما يعمل مثلها. ولا تتصورون فرحتي، وفي الحقيقة كنت دقيقاً في الرسم وكنت أهوى الرسم.

في الامتحانات الشفهية حيث يوجد امتحان شفهي لكل مادة كان هناك امتحان شفهي لمادة العقاقير، فقال لي الدكتور زهير البابا الذي يحبني كثيراً ويفتخر بي: احضر معنا يا جابر، الامتحان الشفهي؛ لتتعلم طريقة الامتحان، ونادراً ما يدعى معيد في الكلية لحضور امتحان الشفهي مع اللجنة. وكان الامتحان الشفهي في علم العقاقير يشمل نماذج من العقاقير النباتية التي يدرسها الطلاب. فعلاً جلست مع اللجنة وكان داخل درج مكتبه نحو 60 عينة من العقاقير التي درسها الطلاب، وكان الدكتور زهير يطلب مني سحب عينة عشوائية، ثم أسلمها له وهو بدوره يسلمها للطالب، ويسأله عن هذه العينة، وما اسمها الدارج، وما اسمها العلمي، وما المكونات الكيميائية الموجودة فيها، وما أهم مركب يعزى إليه التأثير الدوائي؟ وهكذا، ويعطى الطالب ما بين عينتين إلى ثلاث عينات، وأحياناً إذا جاوب الطالب إجابة متميزة، فيمكن للجنة الامتحان الاكتفاء بعينة واحدة.

وعندما جاء دور أحد الطلاب المتميزين طلب مني الدكتور زهير إدخال يدي في الدرج وسحب عينة، وفعلاً سحبت عينة هي وريقة السنا مكي، فأخذها وسلمها للطالب، وقال: حدثنا عن هذه الورقة بالتفصيل، فأخذ الطالب هذه العينة وقال: هذه الورقة هي ورقة السنا، فقال له الدكتور زهير البابا: أنت قلت ورقة هل هي ورقة أم وريقة؟ ففكر الطالب مليًّا ثم قال: إنها ورقة وليست وريقة، فقال: هل أنت متأكد؟ فقال الطالب: نعم، متأكد 100% أنها ورقة

وليست وريقة. لقد كانت إجابة الطالب خطأ تماماً حيث إن أوراق السنا أوراق مركبة من وريقات عدة والجزء الذي يباع في السوق هو الوريقات، وليست الورقة المكونة من وريقات عدة.

فقال له: اخرج، خرج الطالب وعندما قابله زملاؤه خارج القاعة سألوه عن الاختبار؟ فقال: سألوني عن ورقة السنا وهل هي ورقة أم وريقة؟ فقالوا: ماذا كانت إجابتك؟ فقال: قلت: إنها ورقة وليست وريقة، فقالوا له: إن إجابتك خاطئة. وقررت اللجنة منحه صفرًا من مئة، فطلبت من اللجنة سماع رأيي بخصوص هذا الطالب، وطبعاً أنا لست عضوًا رسميًّا في اللجنة، فوافقوا، فقلت: طبعاً يوجد لديكم في هذا الدرج ستون عقاراً، وسألتموه عن عقار واحد، وأخطأ في الإجابة وهل يمكن الحكم على الطالب من جراء إجابته عن عقار واحد؟ أنتم في الامتحان التحريري تضعون أسئلة عدة وتطلبون اختيار أربعة من هذه الأسئلة. لماذا لا تعطون هذا الطالب فرصة في عقار آخر؛ لتتأكدوا فيما إذا كان جيداً أم لا.

التفت أعضاء اللجنة إلى بعضهم، وقال الدكتور زهير البابا: معك حق يا ابني، اذهب وأحضره إلينا، فخرجت وأخذت أبحث عنه، فوجدته خارج الكلية يبكي، وطلبت منه العودة إلى اللجنة، وافق الطالب وعدنا إلى القاعة، ثم طلب مني زهير البابا سحب عينة من الدرج. فسحبت عينة عشوائية؛ لأنني لا أرى العينات وكانت هذه العينة عبارة عن جذر لنبات يسمى عرق الذهب، فأعطى عضو اللجنة هذه العينة للطالب، وطلب منه الإجابة عنها

بالتفصيل وكانت إجابة الطالب متميزة، ثم قلت للجنة: أرغب في أن يعطى عقاراً آخر، فطلبت مني اللجنة سحب عقار عشوائي من الدرج فسحبت له ورقة هي ورقة الديجتالا، وطلبت منه اللجنة تعريف هذه العينة والإجابة عن محتوياتها بالتفصيل، فجاوب الطالب إجابة متميزة ثم طلبت منه اللجنة مغادرة القاعة. وبعد مغادرته، قلت لهم: أرأيتم، فإن الطالب ملم بالمادة، وقال أعضاء اللجنة: جزاك الله خيراً وفعلاً نجح الطالب، وحصل في امتحان الشفهي على 95%.

من الذكريات التي لا أنساها أن الأستاذ الدكتور زهير البابا الذي أعمل معه معيداً بقسم العقاقير قد ألف كتاباً عن التصنيف النباتي للنباتات الطبية، وكان قد انتهى من كتابته باليد على أن يقوم بطبعه لاحقًا. وفي إجازة رمضان كان الدكتور سيسافر إلى سوريا لقضاء إجازة عيد رمضان، وأنا سوف أسافر إلى أبها لقضاء إجازة العيد مع الأهل. طلبت من دكتوري أن يعطيني الكتاب الذي ألفه مكتوباً باليد لأقرأه في إجازة العيد، وفعلاً سلمني إياه، وقال: حافظ عليه يا ابني، فلا يوجد لدي نسخة منه، فأخذت الكتاب، وسافر هو إلى سوريا، وسافرت إلى أبها حيث استأجرت سيارة أجرة وكان معي شنطة ملابس، أما الكتاب والكاميرا الخاصة بي من نوع كانون فكنت أحملها في يدي من أجل أن أقرأ جزءًا منه في الطيارة؛ لأن الرحلة من الرياض إلى أبها بطيارة الداكوتا الصغيرة كانت تستغرق 3 ساعات. ذهبت أنا وأخي عبدالله إلى

المطـار، وكنت جالسـاً في المقعـد الأول مع السـائق وأخي جالس فـي المقعد الخلفـي ومعه الكاميرا والكتاب. وعندما وصـلنا مطار الرياضـ (المطـار القديم) نزلنا من السـيارة، وأخـذت حقيبتي ونسـيت الكاميرا والكتـاب، وذهبت أنا وأخي لـوزن العفش، وكنت أعتقـد أن أخي أخذ الكاميرا والكتاب معه ولكنه نسـيه وأنا نسـيت أن أذكـره. وعندما وزنا الحقيبة تذكـرت الكاميرا والكتاب، وطبعاً صاحب التاكسي قد ذهب.

سـألت أخي: هل تحققت من شـكله؟ فقال: نوعاً ما وأنا أيضاً أعرف بعض ملامحه. غادرت الرياض إلى أبها وأنا في أشد الحزن على الكتاب الذي ائتمنني عليه أسـتاذي، وتحولت إجازتي من فرح إلـى هم وغم، وطلبت من أخـي الذهاب يومياً إلـى البطحاء؛ لعله يجد السـائق، وأن يحاول معرفة شـكله. كان ابن عمتي قد جاء إلى الرياضـ لقضـاء الإجـازة مع أخي عبـدالله الـذي كان يدرس في الجامعـة. وكان الاثنان يذهبان ليليًّا إلى البطحـاء؛ لعلهما يعثران على صـاحب التاكسـي. كان لا يوجد هاتف لكي أتصـل بأخي لعله يطمئننـي على الكتاب. عدت إلى الرياضـ بعد العيد بيوم من أجل أن أعرف ماذا حصل في الكتاب والكاميرا.

وعند وصـولي إلـى الرياض بشـرني أخي عبـدالله بأنه وجد السـائق، وكان غيـر متأكد أنه هـو، ولكنه تكلم معـه، وقال له: لقد نسـينا معك كاميـرا وكتابًا فـي آخر رمضـان ولم يتوقـع أخي أنه

هو، فقال السائق: نعم، لقد أخذت الكتاب والكاميرا، وسلمتهما إلى إدارة المرور التي تقع شمال بلدية البطحاء في أول مدخل شارع الثميري، حيث سلّمتهما إلى رقيب، فتسلّمهما مني، وعليك مراجعتهم لتسلّم الكتاب والكاميرا.

ذهبت في اليوم المقبل إلى مركز مرور شارع الوزير (كانت تسمى النجدة) وقابلت المدير، وتم استدعاء السائق، وقال مدير المرور الذي طلب حضوره: هل تعرف الشخص الذي سلمته الكتاب والكاميرا؟ فقال السائق: نعم، فطلب من أحد الضباط حضور كل الموظفين الذين كانوا مناوبين في ذلك اليوم، وبعد نحو ربع ساعة كان كل المناوبين في ذلك اليوم قد حضروا إلا واحداً لم يكن موجوداً.

طلب المدير من أحد الضباط إدخال كل واحد على حدة وقال المدير للسائق: سوف يدخل كل المناوبين في ذلك اليوم الذي سلمت فيه الكاميرا والكتاب، وسيدخلون واحداً تلو الآخر وعليك معرفة الشخص الذي تسلّم منك الكاميرا والكتاب، فقال السائق: سأفعل ودخل أول شخص وأشار السائق للمدير بأنه ليس هو، ودخل الواحد تلو الآخر، ولكن السائق قال للمدير: ليس منهم. بعد ذلك قال المدير للسائق: احضر غداً الساعة التاسعة صباحاً، حيث إن الشخص الذي لم يحضر مع المناوبين سوف يحضر غداً، وطلب مني كذلك الحضور. وفي اليوم المقبل حضرت أنا والسائق في تمام الساعة التاسعة، ووجدنا الشخص المذكور كان

جالساً مع المدير. وقال المدير للسائق: هل هذا الشخص الذي سلمته الكتاب والكاميرا؟، فقال: نعم، إنه هو يا سعادة المدير، فقال: شكراً بإمكانك المغادرة. وغادر السائق وبقيت أنا والمدير والشخص المتهم. طلب المدير من هذا الرقيب إحضار الكاميرا والكتاب، فأنكر تسلّم هذه الأشياء على الإطلاق. حاول معه المدير، وفي أثناء الحديث مع المتهم إذا بجندي آخر يدخل علينا، فسأله المدير قائلاً: هل الرقيب لديه كاميرا؟ فقال الجندي: نعم، معه كاميرا كانون، وذهبت أنا وإياه إلى إستديو هافانا الموجود تحت عمارة محمد بن سعود أمام المرور لكي يعلّم الرقيب كيف يستعملها وطلب منه إدخال فيلم من نوع 36 صورة.

وصوّر الرقيب جميع زملائه يوم العيد. فقال المدير: يا رقيب: الجندي ذكر أنك أخذت الكاميرا وطلبت من إستديو هافانا أن يعلمك كيف تستخدمها، فقال الرقيب: نعم، حصل هذا ولكن هذه الكاميرا ليست لي، فقد استعرتها من ابن عمي الذي يعمل مدرساً في مدرسة الجموم بجدة، فقال له المدير: فكر مدة يومين ولعلك تراجع نفسك وتعترف وتسلم الكاميرا والكتاب. ثم خرجنا من عند المدير أنا والرقيب، وتحدثت معه ونحن في طريقنا إلى الباب الخارجي وطلبت منه تسليم الكتاب، أما الكاميرا فقلت له: هي لك ووعدته أنني لن أخبر أحداً بذلك، وأتنازل عن القضية إذا سلمتني الكتاب. فقال: كيف أسلمك الكتاب، وأنا لا أعرف عنه شيئاً. قلت: بإذن الله سيظهر الحق. بعد يومين عدت لمدير المرور

لأستفسر منه عما حدث، فقال: اذهب إلى مدير شرطة الرياض ابن هلّال قرب إمارة الرياض، وسوف تجد عنده الخبر، ذهبت مباشرة إلى مدير شرطة الرياض. عندما وصلت إلى مدير مكتبه وجدت السائق جالساً.

سلمت عليهما، ثم طلبت من مدير المكتب الإذن لي بالدخول إلى مدير شرطة الرياض، فأذن لي بالدخول وعندما دخلت عليه قال: تعالَ واجلس بجانبي بجوار أدراج مكتبه ثم فتح الدرج الأعلى وسلمني الكاميرا وفتح الدرج الذي بعده وأخرج الكتاب وسلمني إياه، لقد تعجبت كثيراً مما حدث، وكأنني في حلم لأنني في الحقيقة قد فقدت الأمل. فقلت للمدير: أود أن أعرف كيف وجدتموهما؟ فقال: المهم أنك تسلّمت كاميرتك وكتابك والباقي اتركه علينا، فسوف يأخذ الرقيب عقاباً كبيراً على فعلته؛ لأنني لم أتوقع أن يكون حاميها حراميها. ثم طلب من مدير مكتبه إدخال السائق إليه فدخل السائق، وأخرج مدير الشرطة 1000 ريال وسلمها السائق مكافأة له على أمانته والوقت الذي ضيعه وهو يستدعى من وقت لآخر من قبل إدارة المرور.

عدت إلى الكلية؛ لأن ذلك اليوم هو أول يوم عمل بعد الإجازة، ودخلت المختبر وكان في المختبر مكتب يجلس فيه أستاذي زهير البابا، وسلمت عليه وعايدته وسلمته الكتاب. إنني لا أصدق كيف حدث، وكيف وجدت الكتاب في اليوم نفسه الذي رجع فيه الدكتور زهير البابا.

قال: بشـرني هل قرأته كاملاً أم بقي شـيء تريد إكماله؟ فقلت: له لم أقـرأ منـه حرفاً واحداً، فتعجب وقال: أكيد أنـك تمزح، فقلت: لا والله إنني صادق فيما أقول، قال كيف؟ فأخبرته بالقصة كاملة، فلم يصدق وقال: هذه مسرحية، فقلت: يجب أن تصدق هذه المسرحية.

رحلة جامعية إلى الأحساء ويظهر في الصورة من اليمين: جابر القحطاني – محمد الشغرود – عبدالرحمن عقيل – عبدالله البدر – نجيب سلام – علي شامان. عام 1965م.

ومـن الأحداث التي لا تنسـى، كنت أنا وأخي عبدالله نسـكن في الملـز بجوار حديقة الحيـوان في ملحق للعقيد محمـد الدريبي، وكان معنا في السكن عبدالله بن إبراهيم الحديثي وبعد صلاة العشاء حضر صديق عزيز على قلبي أحبه كما أحب إخواني وهو الأستاذ عبدالله بن سعيد أبو ملحة. وكان ساكناً مع مجموعة من الزملاء في شارع الوزير، حيث كان طالباً في كلية التجارة آنذاك تخصص محاسبة.

فطرق الباب وإذا وجهه متغير، وقال: إن مسعود بن محمد بن مسعود وهو رحيم سعادة الأستاذ الدكتور محمد الشعفي قبضت عليه الشرطة التي ترغب في حضور الدكتور الشعفي ونحن لا نعرف منزله، فهل يمكن أن تدلنا على مسكنه؟ فقلت: نعم، وسألته وزميله الذي كان راكباً معه ويدعى علي الدحناني وهو من الإخوان الأفاضل عن سبب القبض عليه؟ فقالا لي: لا نعلم ما المشكلة. أخذوني معهم بالسيارة وكانت فلوكس واجن، وعندما وصلنا حارة الحلة في الرياض، حيث كان يسكن الدكتور محمد الشعفي مع مجموعة من زملائه، مثل الدكتور عبدالرحمن الأنصاري والدكتور أحمد البدلي، كان الدكتور الشعفي في الدور الرابع.

صعدنا إلى الدور الرابع مستخدمين المصعد، ثم قرعت الباب، وأفاجأ بالشخص الذي قالوا: إن الشرطة قبضت عليه هو من فتح لي الباب، وسألته ماذا حصل؟ الحمد لله على السلامة: لأنني كنت أعتقد أنه أخلي سبيله وكان خلفي عبدالله أبو ملحة وعلي الدحناني اللذان كانا يؤشران له بإشارات من خلفي وقد انطلت عليّ هذه الكذبة. في الوقت نفسه ذهب اثنان آخران إلى أخي في سكننا بالملز، وقالا له: يا عبدالله، نريدك أن تأخذ فراشًا وملابس لأخيك جابر، حيث تشاجر مع شخص وقبض عليهما وأوقفا، فقال: إنكما تكذبان، أخي من طبيعته لا يمكن أن يتشاجر مع إنسان، وطردهما، وقال: لا أصدقكما.

كان الأخ عبدالله الحديثي يقنع أخي عبدالله؛ لأنه كان ساكناً معنا وكان عبدالله الحديثي لابساً بيجامته استعداداً للنوم، وعندما عجز عن المحاولة حيث أخبروه بالقصة، رفض أخي الذهاب معهم، خرج معهم عبدالله الحديثي إلى الخارج لتوديعهم، فقام أخي وأغلق الباب عليه من الخارج ومكث عبدالله الحديثي خارج المنزل وهو بالبيجامة وكان الجو باردًا. ونحن في طريق عودتنا من منزل الدكتور الشعفي اعترفا لي بأن كل ماحدث لم يكن صحيحًا، وما حدث كان بما يسمى كذبة إبريل، واعترفا لي بالقصة الأخرى التي دبراها لأخي عبدالله، وعند وصولنا إلى منزلنا في حي الملز وجدنا الأستاذ عبدالله الحديثي يرتعش من البرد على الرصيف، فقلت: ما بك؟ لماذا أنت بالبيجامة خارج المنزل وفي هذا الوقت المتأخر من الليل؟، قال: أخوك المجنون أغلق عليَّ الباب، وأخبرني بالقصة كاملةً، وكيف جاء بعض الإخوة إلى أخي وطلبوا منه الخروج معهم، ولكنه رفض.

في شهر إبريل في السنة التي بعدها استدعاني مدير مكتب عميد كلية الصيدلة، وقال: يا جابر، هناك شخص اتصل من فندق سمير أميس الذي يقع بجوار البريد العام في البطحاء، وقال: إنه يريد منك الذهاب إليه في الفندق؛ لأنه وصل من بريطانيا وهو لا يحمل أي نقود، فنرجو الذهاب إليه.

لقد تذكرت كذبة إبريل في العام الماضي، وقد قررت أنها لن تنطلي علي كذبة إبريل مرة أخرى، وأهملت الموضوع، وفي اليوم

الثاني اتصل قريبي عن طريق هاتف الكلية قائلاً لمدير المكتب: أرجو إشعار الأخ جابر بأنني ما زلت أنتظره في فندق سمير أميس، وأنه لا يستطيع الخروج؛ لأنه لا يملك نقوداً، وأنه لا يستطيع العودة إلى القاعدة الجوية ليتسلّم عمله طيارًا حربيًّا. وأشعرني مدير مكتب العميد مرة أخرى بأن قريبك اتصل وقال: أرجوك اذهب إليه في فندق سمير أميس. عندها بدأت أفكر جديًّا قد يكون هذا صحيحاً ومكثت أراود نفسي هل أذهب وأعرف الحقيقة؟ ذهبت إلى فندق سمير أميس، وسألت الاستعلامات فيما إذا كان ذلك الشخص مقيماً لديهم؟ فقالوا: نعم، وأعطوني رقم غرفته. صعدت إلى الغرفة وفعلاً وجدته في حالة يرثى لها ينتظرني منذ يومين. لقد كان غاضباً جدّاً بسبب أنني لم آتِ إليه، فأخبرته بكذبة إبريل في العام الماضي التي تورطت فيها، وخشيت أن تكون هذه كذبة إبريل الثانية؛ لأنه وصل فعلاً في أول يوم من أيام إبريل. وأعتذرت له وأنهيت أزمته المالية.

أما الطرفة الثالثة فهي بعد أن تخرجت في كلية الصيدلة، فقد قررت أن أؤدي فريضة الحج، وذهبت إلى الحج وبدلاً من أن أسعى سبعة أشواط سعيت 14 شوطاً؛ لأني أعتقد أن السبعة أشواط تحسب ذهابًا وإيابًا بشوط واحد، ولم أنتهِ من السعي حتى تورمت قدماي، ثم عندما ذهبنا إلى منى وبدأت الرمي في اليوم الأول، وبعد أن انتهيت من الرمي وأنا عائد إلى القهوة التي أقيم فيها مع مجموعة من الناس، فإذا بحاجّة صومالية طولها أكثر من مترين

وعند اقترابها مني على مسافة 5 أمتار بدأت تقوي يدها اليمنى، فاستغربت لماذا تعمل هكذا، وعندما اقتربت مني صفعتني على خدي الأيمن صفعة قوية، ودخت من قوة الصفعة، واستمرت في المشي، وكأنها لم تفعل شيئاً وهي ذاهبة جهة الرمي.

لقد جلست أفكر لماذا هذه الصفعة، حيث لم أزاحمها أو أحتك بها. وأنا لو لم يوجد في الأرض إلا هي فلن أقترب منها؛ لأن شكلها مرعب. وصلت إلى القهوة، وسألت أحد العاملين في القهوة فيما إذا كان لديه مرآة صغيرة لأرى ما حل بخدي؟ فقال: لا يوجد لدينا شيء، ولكن إذا كنت تريد معرفة رسمة اليد والأصابع على خدك فهي بصمة واضحة جدّاً، الله يعينك على ما ألمّ بك. وأستطرد قائلاً: يبدو أن هذا الكف ليس كف سعودي؛ لأنه كبير جدّاً وهو بالتأكيد كف إفريقي، قلت في نفسي: صدقت. صدقوني أنني إلى هذا اليوم لا أعرف سبب ذلك الكف، ولكن سامحها الله.

الابتعاث إلى الخارج لدراسة الدكتوراه

في مدينة كيمبريدج في صيف 1969م.

بعد أن قضيت سنتين في الإعادة اجتزت امتحان اللغة الإنجليزية الذي كان شرطاً للابتعاث، وبعد أن حصلت على قبول من كلية الصيدلة بجامعة لندن غادرت إلى لندن، وعندما أوشكنا على الوصول نظرت من النافذة حيث كانت السحب تغطي الأرض إلا أنني استطعت أن أرى من خلال بعض الفجوات مساحات خضراء وأنهارًا ومنازل منظمة ذات لون أحمر، لم أستطع أن أجد منطقة ترابية، كان منظرًا رائعًا وجميلًا، كنت متشوقاً لرؤية مدينة الضباب، هذه المدينة العالمية التي يقصدها الناس من كل أنحاء العالم للسياحة أو الدراسة أو غير ذلك، عندما وصلت الطائرة

إلـى أرض المطـار ترجلت من الطائرة، وكنـت أعرف الطريق إلى مكتـب الجوازات، حيث إن أخي عبدالله البدر قد شـرح لي طريقة الخروج، بالفعل أنهيت الإجراءات، ووجدت عبدالله البدر وصـالح العشـيوي في اسـتقبالي، وقد حجزا لي في فندق؛ لكي أنهي أوراق البعثة. في طريقنا إلى الفندق شاهدت الطرق الحديثة والحافلات ذات الطابقيـن وتاكسـي لندن المشـهور، وأدهشـني لبس المرأة واحتضانها للرجل في الشارع، كنت مدهوشًا مما رأيت، كان الفندق قريبًـا جـدّاً من حديقة الهايدبـارك، ذهبت في اليـوم المقبل إلى حديقة الهايدبارك للتنزه ومحاولة التعرف إلى طبيعة هذا الشـعب والتعرف إلى النظام، كانت نقلة حضـارية كبيرة بالنسبة إلي، فلم يكـن هنـاك أي مقارنة تذكر بيـن جدة أو الرياض وبين لندن. لم أعانِ كثيرًا من اختلاف اللغة، فقد كانت دراستي في كلية الصيدلة باللغة الإنجليزية، لكني كنت مدهوشًا من دقة النظام.

سبق أن حجز لي الملحق التعليمي في معهد للغة الإنجليزية في شهري الصيف في مدينة كيمبريدج التي تبعد عن لندن نحو ساعة بالقطار. ذهب معي زميلي وصـديقي عبدالله البدر، حيث سبق أن حجز لي الملحق التعليمي في لندن سكناً لدى عائلة في كيمبريدج، وصـلت كيمبريدج، وسـكنت مع العائلة، وعاد زميلي عبدالله البدر بعـد أن اطمـأن عليَّ. مكثت فـي مدينة كيمبريدج مدة شـهرين ثم عدت إلى مدينة لندن للبدء في الدراسة في جامعة لندن، وسبق أن حجزت لي الجامعة سـكنًا في مساكنها الخاصة بطلاب الدراسات

العليا، حيث سكنت في السكن التابع لها في حي بادنجتون قرب حديقة الهايدبارك المشهورة.

في نوفمبر عام 1969م أي بعد وصولي بريطانيا بشهرين أصبت بالزائدة الدودية، وكان الألم يعتصرني، ولم أعرف أنها الزائدة الدودية. اتصلت بزميلي الدكتور عبدالله البدر، وأخبرته بحالتي، وأن الأمر ليس سهلاً، وبعد نحو ساعة حضر، وأخذني إلى مستشفى St. Mary Hospital في الحي نفسه الذي أسكن فيه، وهو المستشفى الذي اكتشف فيه فلمنج المضاد الحيوي الشهير المعروف بالبنسلين. عندما اطلع الأطباء على حالتي في الطوارئ، أدخلوني العمليات مباشرة، حيث كانت حالتي حرجة، كان زميلي الدكتور عبدالله البدر معي في أثناء العملية، ولم يغادر المستشفى حتى فقت من التخدير، واطمأن عليَّ، ثم عاد إلى زوجته وبيته، فجزاه الله عني خير الجزاء.

بعد يومين من إجراء العملية أخذوني إلى مستشفى نقاهة آخر، ووجدت في ذلك المستشفى عناية فائقة، وبعد أربعة أيام خرجت من المستشفى وكان الوقت بعد العصر تقريبًا، وكانت المدينة مغطاة بالثلج الأبيض، ولم أَرَ الثلج من قبل، وغمرتني الفرحة بخروجي، وعدت إلى غرفتي في سكن الجامعة، واتصلت بزميلي عبدالله البدر، وبشرته بخروجي، فحمد الله على سلامتي، وقال: نحن في انتظارك على العشاء هذه الليلة فلا تتأخر، لقد

كان هـذا الرجـل يزورني يوميّـاً ويطمئن علي بالهاتـف مرات عدة في اليوم، جزاه الله خير الجزاء. وزارني كذلك أسـتاذي برفسـور فيربـران هـو وزوجته وأنـا في مستشـفى النقاهة، وأهدانـي كتابًا مازلت أحتفظ به حتى الآن.

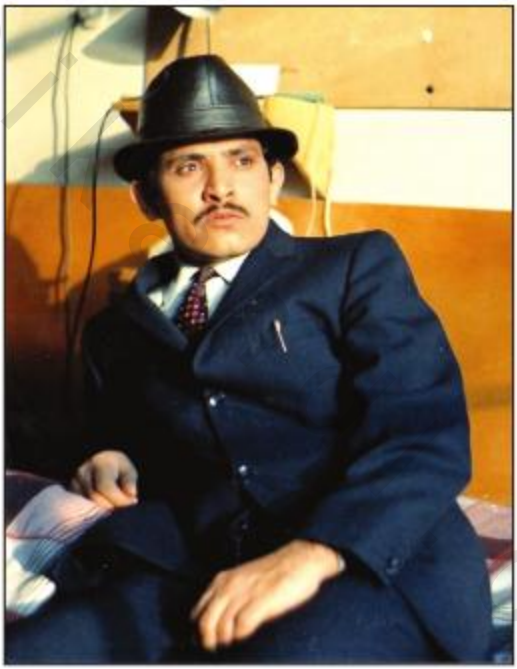

في لندن عام 1969م.

صورة مع العائلة التي سكنت معها في كيمبريدج عام 1969م.

من اليمين عبدالرحمن فلمبان – عبدالعزيز السحيباني – محمد عيسى – مكي العمودي – جابر القحطاني في أثناء دراسة اللغة في كيمبريدج عام 1969م.

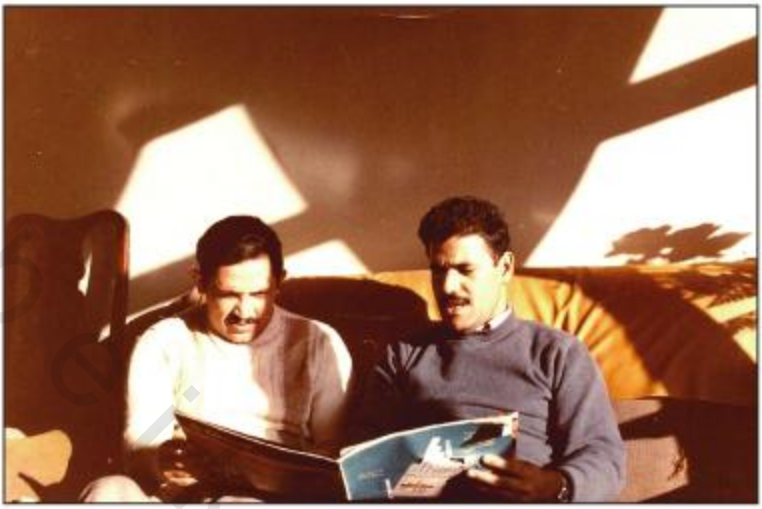

مع أخي وصديقي عبدالله البدر في لندن عام 1970م.

obeikandl.com

رحلتي مع أصدقائي

في فصل الربيع من السنة الأولى لي في بريطانيا عام 1970م سافرت أنا وبعض الزملاء، وهم أحمد العقل وعبدالعزيز الزيد وعبدالله الجربوع إلى فرنسا وإسبانيا والمغرب والجزائر في إجازة الربيع التي تقع في شهر إبريل. سافرنا عن طريق القطار من لندن إلى دوفر ومن دوفر إلى كاليه في قارب، وذلك قبل أن تفتح القناة الإنجليزية الفرنسية. من كاليه ركبنا القطار إلى باريس، وسكنا في فندق صغير. كنت ألبس ساعة جديدة وثمينة، دخلت الحمام الذي لم يكن فيه مكان للوضوء ولا صنبور ولا غير ذلك. نزعت الساعة، حيث أريد أن أتوضأ من ماء السيفون وأخشى أن يبللها الماء فتتوقف، وفي أثناء محاولتي الوضوء وضعت الساعة على المرحاض، فسقطت وغابت عن الأنظار. وعندما انتهيت من الحمام دعوت أحد العاملين، وأخبرته بوقوع الساعة في المرحاض، وحاول جاهداً أن يجدها، ولكن محاولته باءت بالفشل، وذهبت الساعة في مجاري باريس.

في اليوم اللاحق لضياع الساعة، غادرنا باريس إلى برشلونة وكان ذلك في الساعة العاشرة مساء، ذهبنا مباشرة إلى محطة القطارات، واشترينا تذاكر سفر، وقد استغربنا من رخص قيمة تلك التذاكر، كانت المسافة إلى برشلونة عشر ساعات. ركبنا

من اليمين: جابر القحطاني – عبدالعزيز الزيد – عبدالله الراشد – أحمد العقل في حديقة الهايدبارك بلندن عام 1970م.

القطـار، ونحن نبحث عن مقاعدنا ولم نجـد لنا مقاعد، ثم دخلنا المقصـورات، فطردونـا منهـا، وأخيـراً جـاء الرجل الـذي يدقق التذاكـر، فعندما رأى تذاكرنـا، قال بلغة الإشـارة: لأنه لا يتحدث الإنجليزية: تذاكركم هذه هـي تذاكر الممرات، أي ليس لكم مكان إلا الممرات قياماً أو جلوسـاً كما تريدون، عرفنا حينها لماذا كانت رخيصة، وكان معنا أعداد كبيرة من أصحاب تذاكر الممرات.

غادر القطار باريس متجهاً إلى برشـلونة، وتـارة نجلس وتارة نقف وقد تعبنا تعباً شديدًا، حتى الشاي والقهوة لا نستطيع شراءهما. كان زميلنا عبـدالله الجربوع متمددًا أمام مدخـل أحد الحمامات، والنـاس الذيـن يدخلون الحمام يتخطونه إلى الحمام، وقد سـمعته يقول: كيف لو تدري أمي أن الناس يتخطون أولاد الحمايل.

وصلنا برشلونة الساعة الثامنة صباحاً، وكنا مرهقين جدّاً حيث لم نذق طعم النوم طوال الرحلة، وكرهنا تلك الرحلة. عندما غادرنا القطار، كنا نفكر كيف نبحث عن سكن في مدينة برشلونة أكبر مدن إسبانيا بعد مدريد، وعلى رصيف القطار وجدنا أعداداً كبيرة من أصحاب الأوتيلات ينتظرون نزول المسافرين لعرض السكن عليهم، لم يكن لدينا خلفية عن هذه الطريقة، توكلنا على الله، وركبنا مع أحدهم وأخذنا إلى أكبر شارع في برشلونة وهو شارع للمشي لا تدخله السيارات، لكن موقع السكن كان في شارع فرعي من هذا الشارع، أنزلنا الرجل أمام مدخل عمارة مكونة من ستة طوابق وأخذ حقائبنا إلى شقة في الدور الرابع.

صعدنا مع الرجل، إلا أن زميلنا عبدالعزيز الزيد رفض الدخول معنا، وقال: «سوف أنتظر هنا حتى أتأكد أنهم لن يسرقونا» (قلت في نفسي: أيش يسرقونا ونحن حفاة منتفون ليس مع الواحد إلا البنطلون الذي عليه). وصلنا إلى الشقة وكانت في استقبالنا عجوز لطيفة جدّاً قدمت لنا عصير البرتقال الطازج، حيث تشتهر إسبانيا بزراعة البرتقال. شربنا العصير ثم نزلت إلى زميلنا وهو جالس أمام مدخل الباب، قلت له «يا الله اطلع»، فقال: «هل أنتم متأكدون أنهم لن يعملوا فينا أي شيء». قلت: ادخل لقد توزعنا في الغرف وشربنا عصيرًا، وصعدنا حيث وزعنا على غرفتين أنا وهو في غرفة واحدة، وزميلنا أحمد العقل وعبدالله الجربوع في غرفة واحدة. قلت لعبدالعزيز الزيد: اشرب هذا عصيرك، وبعد

دقائـق عدة دعتنا صـاحبة الأوتيل إلى تناول طعـام الإفطار، وكان فطـوراً جيداً. زميلنـا عبدالعزيز هو الممثل المالـي لنا، فهو الذي يديـر الأمور المالية بعد أن سـاهمنا جميعًا في دفـع مبالغ الرحلة ويصـرف منها ويسجل كل صغيرة وكبيرة وهو رجل موثوق به، فقد اخترناه ليكون وزيراً لماليتنا، نمنا بعد الفطور حتى المسـاء، حتى وجبـة الغـداء قفزناها، في الليل ذهبنـا إلى تناول وجبة العشـاء، حيث إن الأوتيل لا يقدم إلا وجبة الفطور فقط.

ذهبنـا نبحث عن مطعم على قدر ميزانيتنا ولاسـيما أن وزير ماليتنا شحيح جدّاً، ولا يصرف القرش إلا في مكانه، وجدنا مطعماً له باب عليه ديكورات من سعف النخل، دخلنا وقلنا: إن هذا المطعم يمكن أن يكون أرخص مطعم في برشـلونة، وعند دخولنا استقبلنا اثنان من عاملي المطعم وأخذا معاطفنا وعلقاها في دولاب مفتوح أمـام سـاحة المطعم الكبير الـذي لم نكن نتوقعـه، وقلنا: عز الله تورطنا فـي هذا المطعم، جلسـنا على طاولة مسـتديرة، لم نتعود الجلوس على مثلها، ثم أحضـروا المناديل البيضـاء والسـكاكين والشوك أمام كل واحد منا.

وشـاهدنا الناس الذين يجلسـون في المطعـم من علية القوم ومن الممثلين والممثلات وهم ينظرون إلينا أحسبهم يقولون: (من أيـن أتى هؤلاء). جاء واحـد من العاملين فـي المطعم يحمل على صدره صندوقاً من خشب المجنو، يحمل فيه أنواع السجائر، وقدمه لنا، رفضنا؛ لأنه لا يوجد واحد منا يدخن. ذهب ثم جاء واحد آخر

يحمل سلة بها عدد من قوارير الخمر مغمورة في قطع من الثلج، ولم يسبق لنا رؤية هذا المنظر إلا في الأفلام المصرية أو اللبنانية. رفضنا الشراب؛ لأننا بفضل الله لا نعرفه. ثم جاء العشاء، حيث أحضروا أنواع السلطات والشوربات والأطباق الرئيسة، فاختار كل منا ربع دجاجة فقط، وقد استغربوا لماذا نمنع أنفسنا من مختلف أنواع المأكولات التي يسيل لها اللعاب، وفي الحقيقة كنا نتمنى أن نأكل مثل هذه المأكولات، إلا أننا نخشى على ميزانيتنا.

بعد أن انتهينا من الأكل، قدموا لنا أنواع الحلويات، ورفضناها؛ خشية على ميزانيتنا، ثم أحضروا القهوة والشاي ورفضناها. طلب وزير ماليتنا الفاتورة، قدموا له الفاتورة، فعندما نظر إليها لم يصدق ما رأته عيناه، حيث كان الحساب ثلثي ميزانيتنا التي أحضرناها للرحلة كاملة، فسأل وزيرنا الشخص الذي أحضر الفاتورة عن هذا المبلغ، واعتقد أن في الأرقام خطأ ما، ثم عرض علينا وزيرنا الفاتورة، ففتح كل واحد منا فمه الجائع وعيناه إلى أقصى حد.

قال النادل: «إن كل شيء قدم لكم ابتداء من الدخان ونهاية بالقهوة والشاي وحتى قلع المعاطف وتعليقها محملة عليكم استخدمتموها أم لم تستخدموها»، وقال: «لا بد أن تدفعوا هذا المبلغ»، قام وزيرنا بحساب ما يحمله معه من نقود فلم تكفِ، فطلب من كل واحد منا أن يعطيه ما معه من النقود التي كان سيستخدمها في مصروف جيبه الخاص. المهم أن كل النقود التي معنا دفعناها في عشاء تلك الليلة، لا بارك الله فيه من عشاء ومن مطعم، ورجعنا

إلـى الأوتيل ونحن نندب حظنا على دخولنا هذا المطعم الذي أخذ ثلثي ميزانية الرحلة. لم ننم تلك الليلة من الحسرة على أننا حرمنا أنفسنا من أنواع الأكل والحلوى وحتى شرب الشاي والقهوة.

مع الأخ أحمد العقل في حديقة الهايدبارك بلندن عام 1970م.

من اليمين أحمد العقل – عبدالعزيز الزيد – جابر القحطاني في برشلونة عام 1970م.

فـي اليوم الثاني أفطرنا في البنسـيون، وقفزنـا وجبة الغداء توفيرًا للميزانية، وتجولنا في كل مكان داخل المدينة على الأقدام، ولا نسـتخدم أي مواصـلات كل ذلك من أجل التوفير. وعندما جاء وقـت العشـاء خرجنا نبحـث عن مطعـم، وعادة يدخـل واحد منا وينظر نوع المطعم، فإذا كان مطعماً متواضعًا دخلنا؛ لأننا نعلم أنه سيكون أرخص مطعم، وفعلاً نجحت خطتنا.

مكثنا ثلاثة أيام في برشـلونة، ثم قـرر الموكب المغادرة إلى العاصـمة مدريد، وقد أصـبح لدينا خلفية عن البنسيونات، وجدنا بنسـيونًا رخيصًـا وجيدًا، ومكثنا فـي مدريد ثلاثة أيـام زرنا فيها مدينة الآثار الإسلامية وبعد ذلك توجهنا إلى غرناطة، ومكثنا فيها يومين، ثم غادرنـا إلى ملقا علـى البحر الأبيض المتوسـط، وهي مدينة كبيرة قريبة من جبل طارق، ومكثنا بها يومين ثم رحلنا عبر البحر الأبيض المتوسـط في سـفينة كبيرة إلى طنجة في المغرب وكان زمن الرحلة 6 سـاعات. هاج البحر وكنت الوحيد من زملائي الذي يعاني دوار البحر، ومن شـدة هيجان البحر قمت بالاستفراغ ودخلـت الحمام وقمت بغسـل وجهي، وعندما غسـلت وجهي التفتّ عن يميني، فإذا بامرأة تنظر إليَّ باسـتغراب، فالتفتّ عن يساري، فإذا بامرأة أخرى تنظر إليَّ باستغراب.

عندهـا أيقنـت أنني دخلت حمام النسـاء وخرجت مسـرعاً، وعندمـا خرجت مـن الحمـام لاحظت فعـلاً أن اللوحـة التي على الحمام هي لوحة حمام النساء. لاحظ مساعد القبطان شدة تعبي،

فأخذني إلى غرفته في الدور الأرضي للباخرة وأعطاني حبة مهدئة وقال: سأغلق عليك الباب وحاول أن تنام، فعلاً نمت نوماً هنيئاً ولم أشعر بالدوار في تلك الغرفة «الله أعلم ما نوع الحبة التي أعطاني إياها». وصلنا طنجة وهي مدينة ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط، وقمنا بالبحث عن سكن، ووجدنا فندقاً متواضعاً وسكنا فيه، وعندما حان وقت العشاء ذهبنا لنبحث عن مطعم يتناسب مع ميزانيتنا، وفعلاً وجدنا مطعماً يقدم كرشة وكوارع ورغيف خبز، وتعشينا وصدقوني أنها كانت أفضل وجبة تناولناها منذ أن غادرنا لندن، وفي الوقت نفسه أرخص وجبة.

مكثنا في طنجة يومين، ثم رحلنا عن طريق القطار إلى الرباط العاصمة، وقد مكثنا فيها يومين وزرنا معالمها وأكثر زياراتنا كانت لمطاعم الكرشة والكوارع، ثم غادرنا إلى الدار البيضاء، وهي من أجمل مدن المغرب، في اليوم اللاحق أخبرنا وزيرنا القدير ونحن على مائدة الإفطار، والله لا يوريكم ذلك الفطور: (فول ونصف رغيف وفنجان شاي) قال: إن الميزانية انتهت، قلنا له: كيف أيها الوزير، فلّس الصندوق، أليس هناك احتياطي؟ فقال: بقي الذي سوف نتغدى به اليوم كوارع ومرقة فقط، وسوف نلغي الكرشة.

في الحقيقة كانت صدمة كبيرة لنا ولو أننا نعلم بعد مطعم برشلونة أن الميزانية لن تكفينا، لقررنا أمرًا آخر، فقال وزيرنا صاحب الميزانية: لقد أحضرت دفتر الشيكات الخاص بي، وسنحاول السؤال فيما إذا كان في الدار البيضاء فرع لبنكه،

فسوف يسحب منه المبلغ الذي يكفينا، ثم بعد عودتنا إلى لندن نرد له حقوقه. وفعلاً ذهبنا لنبحث عن البنك، ووجدناه وسحب المبلغ الذي يكفي لباقي رحلتنا، حيث بقيت الجزائر. غادرنا المغرب إلى الجزائر عن طريق القطار. كان زميلنا عبدالعزيز الزيد دائماً حريصًا، ويحذرنا من فقدان جوازات سفرنا ونقودنا جزاه الله عنا كل خير.

طبعاً ختمت جوازاتنا عند مغادرتنا المغرب وركبنا القطار إلى الجزائر، وعندما وصلنا تلمسان، وهي المكان الذي سيختمون فيه على جوازاتنا لكي ندخل الجزائر، ووقفنا في الصف للتختيم حيث أخرجنا جوازاتنا إلا الأخ عبدالعزيز الزيد الذي اكتشف أنه نسي جوازه في محطة القطار في المغرب بعد ختمه من الجوازات، وتورط زميلنا عبدالعزيز، وأوقف من الدخول، فاتصلنا بالسفير السعودي في العاصمة الجزائر، وأخبرناه بفقدان جواز سفر زميلنا عبدالعزيز الزيد، فأرسل السفير مندوبًا من السفارة السعودية إلى تلمسان ليتحدث مع مسؤول الجوازات في تلك المحطة.

وانتظرنا ساعات عدة حتى وصل مندوب السفارة السعودية وتفاهم مع مسؤول الجوازات في محطة قطار تلمسان مدخل حدود المغرب مع الجزائر، ثم أعطى زميلنا عبدالعزيز ورقة مختومة من الجوازات على أن يستخرج جواز سفر من الجزائر إذا لم ترسل المغرب جواز سفره الذي نسيه في محطة الخروج من المغرب. استمررنا في السفر عن طريق القطار إلى مدينة وهران، وسكنا

في فندق متواضع، ومكثنا فيها أربعة أيام، وهي منطقة جبلية جميلة، وكنا نحاول الذهاب إلى المطاعم البسيطة، لكن العادات في الأكل تختلف فيما بين المغرب والجزائر ولم نعد نجد المطاعم ذات الكروش والكوارع، ولكن وجدنا مطاعم رخيصة تبيع الكبدة والكلاوي والمخ، وكنا نأكلها لرخصها. غادرنا وهران إلى العاصمة الجزائر، وهي تقع على البحر الأبيض المتوسط، وسكنا في فندق متواضع، وكنا نتجول يومياً على أرجلنا؛ لنرى كل معالم الجزائر. كنا دوماً نعلق على زميلنا عبدالعزيز الزيد وضياعه لجواز سفره وهو الذي كان يحذرنا من فقد جوازات سفرنا، إن لكل جواد كبوة.

نظراً لأن دراستي علمية ولا بد أن أكون في الكلية خلال أربعة أيام من وصولنا الجزائر، فقد قررت العودة إلى لندن، أما زملائي فمكثوا عشرة أيام بعدي في الجزائر من أجل إنهاء جواز سفر زميلنا عبدالعزيز الزيد، ولأن دراستهم نظرية ولا يلزم حضورهم؛ لأنه لا يوجد لديهم دراسات مخبرية.

نسيت أن أخبركم بأنني كنت المصور لأعضاء الرحلة، حيث كان يوجد معي كاميرا كانون، وكنت أصور المعالم في أي بلد أو مدينة نزورها في رحلتنا، حيث كنت بارعاً في التصوير وكنت محباً له منذ أن كنت في المرحلة المتوسطة، وكنت في الحقيقة أهوى التصوير، حتى إن الشخص لا يفرق بين الصور التي أصورها وصور الإستديو. عندما كنا أنا وزملاء الرحلة في فرنسا وفي العاصمة باريس كنت أصور زملائي أمام معالم باريس مثل برج إيفل وغيره،

وحيث إنني الذي أصور دوماً، فقد طلبت من الزملاء أن يقوم واحد منهم بالتصوير لأخذ صورة لي مع الاثنين الآخرين، فقال عبدالله الجربوع: أنا سوف أصور، فأعطيته الكاميرا ووقفت مع زميلي أحمد العقل وعبدالعزيز، وعندما بدأ الأخ عبدالله الجربوع يصور لاحظت أن عدسة الكاميرا ليست مسلطة على الجزء العلوي من أجسامنا، حيث كانت العدسة تميل إلى تصوير الجزء الأسفل من أجسامنا، قلت لزميلنا الجربوع: يبدو أن عدسة الكاميرا منخفضة، فقال: لا، أنا أرى أجسامكم كاملة في عدسة الكاميرا، صورنا صوراً عدة، وفي كل منطقة نزورها يلتقط لنا الزميل عبدالله الجربوع بعض الصور، وأحياناً عبدالعزيز، وأحياناً أحمد العقل. عندما وصلنا الجزائر طبعت الفيلم، وهو 36 صورة وعندما ظهرت الصور كانت جميع الصور التي صورها زميلنا عبدالله الجربوع من الركبة وما دونها، ولم يظهر الجزء العلوي من أجسامنا في أي صورة من الصور التي صورها.

غادرت الجزائر عن طريق الجو إلى لندن عبر باريس. عندما وصلت لندن وعند الجوازات ناولتهم جواز سفري، ففتحوه ولم يجدوا تأشيرة الدخول إلى بريطانيا، وقالوا: لا يوجد لديك تأشيرة دخول، ألم تراجع السفارة في الجزائر؟ فقلت: بلى، ذهبنا جميعاً إلى السفارة في الجزائر من أجل تأشيرة الدخول، فقال لنا شخص في مدخل السفارة: إنكم لا تحتاجون إلى تأشيرة؛ لأنكم تدرسون في بريطانيا، أخذ المسؤول في جوازات مطار لندن جوازي، وغاب

ساعة ثم رجع وختم الجواز، وقال: لقد منحناك تأشيرة دخول، ولكن انتبه في المرات القادمة. وصلت مقر سكني في لندن، وحمدت الله على وصولي بعد رحلة شاقة ومفاجآت كثيرة.

عندما بدأت الدراسة في جامعة لندن في كلية الصيدلة في برنسويك سكوير Brunswic square قال رئيس قسم العقاقير في الكلية البروفسير فيبران: لقد لاحظنا أنك لم تتعرض في دراستك في كلية الصيدلة في السعودية إلى بعض المقررات التي تُعدّ من أهم الموضوعات التي ستسهل عليك الدراسة في الكلية مثل الكروماتوجرافيا، إضافة إلى تقنية الأشعة البنفسجية وفوق البنفسجية التي لم تكن موجودة في دراستنا في السعودية، حيث إن هذه التقنية والمقررات تُدرّس في السنة النهائية في مرحلة البكالوريوس بكلية الصيدلة في جامعة لندن..

وبالفعل بدأت الدراسة مع طلاب السنة النهائية لمرحلة البكالوريوس، ووجدت صعوبة كبيرة في دراسة تلك المواد التي لم يسبق لي دراستها، ولاسيما أنها متقدمة والطلاب في جامعة لندن سبق أن درسوا مبادئ هذه المواد في سنوات دراستهم الأولى في كلية الصيدلة. في نهاية العام خضعت لاختبار المعادلة اجتزت جميع المواد عدا مادة الكروماتوجرافيا، بعد ذلك قرر رئيس القسم البروفسير فيبران امتحاني شفهيّاً في هذه المادة، وكان معه رئيس قسم العقاقير في كلية الصيدلة (تشيلسي) حيث يوجد في جامعة لندن كليتان للصيدلة (برنسويك سكوير وأيضاً

تشيلسي) ولم يكن هذا الاختبار سهلاً، وعند نهاية الاختبار الذي أخذ مني وقتًا طويلاً قالا: لا بد لك من إعادة دراسة هذه المادة، وبإمكانك أن تبدأ عملية البحث لجمع المعلومات عن موضوع رسالة الدكتوراه الذي اخترت لاحقاً أن يكون عن الأفيون ومشتقاته.

من اليمين عبدالله الحديثي – مكي عمودي – جابر القحطاني في كيمبريدج عام 1969م.

عدت إلى السعودية في إجازة الصيف، وتزوجت فقد سبق أن طلبت من والدي أن يخطب لي، وقد سألني: هل تريد بنتاً معينة، فقلت: نعم، في خاطري بنت أسعد عبدالمحسن الصرح واسمها رقية، فقال: كيف عرفتها؟ فقلت: يا والدي، عندما كنت في المتوسط كنت أرى تلك البنت وعمرها 8 سنوات وكان ينفتح لها قلبي عندما أراها، لدرجة أنني يا والدي، بعض الأيام أذهب إلى محل والدها، وأجلس على الدكة التي بجانب المحل؛ لكي أراها

عندما تأتي إلى والدها ليعطيها حلوى. وعندما انتهيت من دراسة الثانوية العامة، ودخلت الجامعة كنت أحاول أن أسمع الراديو عندما يذيعون أسماء البنات اللائي نجحن من الشهادة الابتدائية، وكم تتصور يا أبي، فرحتي عندما سمعت اسمها ضمن الناجحات، وكذلك في شهادة معهد المعلمات كنت أحاول أن أسمع الراديو كل وقت لأسمع فيما إذا كانت ضمن الناجحات من معهد المعلمات.

لم أكن أفكر في يوم من الأيام أن أتزوجها، ولكني كنت مولعاً بحبها بوصفها طفلة جميلة فقط، ولكن حين حان وقت الزواج لم أفكر على الإطلاق في غيرها. فقام والدي بخطبتها، وكان زواجي في 12 أغسطس من عام 1971م وقد كان زواجي أنا وشقيقي عبدالله في يوم واحد، ومكثت في أبها 15 يوماً، ثم غادرت أنا وزوجتي إلى لندن، وقد سبق أن حجزت غرفة في السكن نفسه في بادنجتون بلندن. عندما وصلنا السكن ودخلنا الغرفة جلسنا على كرسيين في غرفة النوم، فقالت: لماذا نجلس في غرفة النوم؟ لماذا لا نذهب إلى صالة الجلوس؟ فقلت لها: هذه صالة الجلوس وهي غرفة النوم، وليس معك إلا هذه الغرفة، بعد ذلك فتحت باب المطبخ الذي هو متر ونصف في متر ونصف، ثم أخذتها إلى الحمام الذي هو متر في مترين، وقلت: هذه شقتنا العامرة، ولا تفكري في غيرها.

بدأت أواجه بعض المصاعب مثل غلاء المعيشة، ولأن كثيرًا من الناس الذين يأتون للعلاج في لندن لا بد أن يزورونا، ولا نجد مكاناً لاستقبالهم، وهناك عدد من الزملاء المبتعثين

في مدن أخرى غير مدينة لندن، وقد قالوا لي: إن السكن خارج لندن ميسر ورخيص وأيضاً المعيشة ليست معقدة كما هو الحال في لندن، ففكرنا في الانتقال إلى جامعة أخرى لنجد فيها سكناً رخيصاً وواسعاً. راسلت بعض الجامعات للحصول على قبول ومن ضمنها جامعة ليفربول، وجاءني رد هذه الجامعة الذي يفيد بأنه لا يوجد لديهم كلية للصيدلة، واقترحوا عليّ أن يحولوا أوراقي إلى ليفربول بوليتكنيك (جامعة جون موريس حالياً) وهي تتبع المجلس البريطاني الأكاديمي العالمي، فوافقت بأن يتم تحويل طلبي لها.

بعد أسبوع وردني خطاب من عميد كلية الصيدلة يفيد بأن القسم يحتاج إلى إجراء مقابلة شخصية معي قبل النظر في القبول، وقال في خطابه: إذا كنت موافقًا على إجراء المقابلة الشخصية، فأشعرنا بالموافقة عن طريق هاتف مكتب العميد من أجل تحديد الموعد، استخرت الله، وأخبرتهم بموافقتي على إجراء المقابلة الشخصية وتم تحديد موعد لهذه المقابلة، وسافرت إلى مدينة ليفربول التي تبعد عن لندن نحو ساعتين ونصف بالقطار.

وصلت إلى مكتب العميد، ووجهني إلى مكتب رئيس قسم العقاقير وهو البروفيسور باتل، ذهبت إلى القسم ووجدته في انتظاري وكان معه دكتور آخر، بدأت المقابلة الشخصية، حيث بدأ كل منهما يسألني في مختلف مقررات علم العقاقير بما في ذلك الكروماتوجرفيا التي درستها في لندن، واستمرت المقابلة ساعة

واحدة، ثم قال لي رئيس القسم: سوف نشعرك بنتيجة المقابلة خلال أسبوع فيما إذا كنّا سنقبلك في القسم من عدمه.

بعد أسبوع تسلّمت خطاب قبولي في قسم العقاقير بكلية الصيدلة، وقد حددوا موعد بدء عملية البحث العلمي، سررت كثيرًا بهذا الخبر، وتوجهت مباشرة إلى الملحق الثقافي السعودي في لندن الشيخ عبدالعزيز التركي، وسلمته خطاب القبول، وطلب المسؤول عن طلاب الدراسات العليا، وسلمه خطاب قبولي وطلب منه التأكد من هذه الكلية فيما إذا كانت من الكليات المعترف بها من قبل جامعة الملك سعود، وبعد قليل عاد ليؤكد أنها من الكليات المعترف بها وذات المستوى المتميز، قام الشيخ عبدالعزيز التركي بإرسال الخطاب إلى جامعة الملك سعود (الرياض سابقًا) لكي تتم الموافقة رسميًا من قبل مجلس القسم ومجلس الكلية ومجلس الجامعة على تحويلي إلى كلية الصيدلة في ليفربول بوليتكنيك، وبعد شهر تقريباً وصل الرد بموافقة القسم ومجلس الكلية وتصديق الجامعة على قبولي في هذه الكلية.

وتعاونّا من الملحق الثقافي أرشدني إلى عنوان طالب من قسم الجيولوجيا في كلية العلوم وهو الأستاذ أحمد باسهل، حيث كان يحضر الدكتوراه في ليفربول، وقال لي: لعله يساعدك على الحصول على سكن من خلال خبرته في مدينة ليفربول، حيث قضى فيها خمس سنوات وما زال، سافرت أنا وزوجتي التي كانت حاملاً في الشهر الرابع إلى ليفربول التي تُعدّ من أكبر الموانئ

في المملكة المتحدة، وعند وصولنا أقمنا في فندق صغير بالقرب من محطة القطارات، وفي الصباح الباكر اتصلت بالأستاذ أحمد باسهل الذي كان يقيم في سكن الجامعة وقام بالرد شخص آخر عرفني باسمه وهو الأخ العزيز محمد بن عثمان الراشد، إذ كان يدرس الاقتصاد في جامعة ليفربول، فسألته ما إذا كان الأستاذ أحمد باسهل موجوداً؟ فقال: إن الدكتور أحمد قد حصل على درجة الدكتوراه، وسافر صباح هذا اليوم إلى لندن في طريقه إلى السعودية، وقد استأجرت هذا السكن بدلاً عنه، ورحب الأخ محمد الراشد بي كثيراً وهو لا يعرفني، وقال لي: إنه ينتظرنا هو وزوجته، ذهبنا إليهما ورحبا بنا، حيث جهزا لنا عشاء سعوديّاً إنجليزيّاً وتسامرنا بعد العشاء وأخبرته بأنني قد حصلت على قبول في كلية الصيدلة للحصول على درجة الدكتوراه.

قال لي: إن هناك غرفة شاغرة بجوار غرفتهما، ويمكننا استئجارها مدة يومين أو ثلاثة، وقال لي: إنه يعرف عائلة إنجليزية مكونة من أختين تسكنان في منزل في حي Childwell وقال: إنه سيتصل بهما فيما إذا كانا يرغبان في أن تشاركاهما منزلهما حتى العثور على سكن دائم، فاتصل بصاحبة المنزل واسمها (آن) وقالت: نعم، يمكنهما السكن معنا حتى يجدا سكناً دائماً لهما، في اليوم الثالث ذهبنا إلى هذه السيدة وأختها واستقبلانا وجهزا لنا غرفة في منزلهما المكون من ثلاث غرف نوم وصالة جلوس عائلية ومجلس ودورة مياه ومطبخ وحديقة أمامية وخلفية، مكثنا لديهما

شـهراً كاملاً حتى وجدنا شـقة فـي بناية جديدة في حي مناسـب يسـمى Gatekar park، وكانت مكونة من غرفتي نوم وصالة جلوس ومطبخ ودورة مياه، وكانت خالية من أي أثاث عدا نظام التدفئة.

كنا يوميّاً نذهب إلى سـوق الأثاث المستخدم، ووجدنا أثاثاً لا بأس به لصالة الجلوس، أما غرفة النوم فقد اشترينا غرفة جديدة بالتقسـيط، وثلاجـة وفرنًـا مسـتعملين، إضـافة إلى مسـتلزمات المطبخ من الأماكن الرخيصـة وتلفزيونًا صغيرًا مستخدماً، وكان كل ذلك قبل بداية الدراسة بشهر، أي في شهر سبتمبر 1971م.

وأود أن أشير هنا إلى أن الحالة المادية في ذلك الوقت كانت صـعبة جدّاً، حيث إننا متغربان في دولة تُعدّ المعيشـة فيها مرتفعة جـدّاً، وبطبيعـة الحال كنا نقتصـد فـي كل أمور الحيـاة؛ لتحقيق الهـدف الذي تغربنا من أجله، وقد تنازلنا عن كثير من أساسـيات الحيـاة لتحقيـق هذا الهدف. لم تكـن الحياة في السـابق كما هي الآن، فكل شـيء متيسـر الآن والمكافـآت مجزية، بل إن التواصـل مـع الأهل في السـعودية لـم يكن متيسـراً، فلم يكن في السـعودية هواتف وكانت الوسـيلة الوحيدة هي البريد الذي كان يصـل بشكل شـهري، إضـافة إلـى أن التذاكـر الممنوحـة لنـا كانت تصـرف كل سنتين.

مع الأخوين عبدالله البدر ومحمد الراشد في ليفربول عام 1972م.

بـدأت الدراسـة في شـهر أكتوبر، ذهبت إلى الكلية بواسـطة الحافلـة، فلـم أكن أمتلك وقتها سـيارة، وكانـت محطة الحافلات لحسن الحظ أمام المبنى الذي نسكنه، وكانت الكلية تبعد عن مقر الإقامة تقريباً 12 كيلو.

في صباح يوم 12-1-1972م رزقنا بأول مولودة التي أسميناها نـدى، وأبلغنـا الأهل في أبها، حيـث إنهم لم يكونـوا يعلمون بحمل زوجتـي، كنا فرحين بهـذه النعمة التي رزقنا الله، وكانت حافزاً لي لإكمال ما بدأته، حيث أصـبحت والداً، وهذا الشـعور ينقل الإنسان إلـى مرحلة أخرى مختلفة التفكير، سـواء في اتخـاذ القرارات أم التخطيط للمسـتقبل. أذكر عندما كنت فـي الكلية في وقت الغداء جاء عميد الكلية، واسـتأذن فـي الجلوس معي، وعندمـا علم أنني

رزقت ببنت بارك لي، ونصحني بأن أحرص أن يكون لبنتي أخ في القريب العاجل من أجل أن يتربيا سوياً، وأن يكونا متقاربين في السن. وبالفعل حملت زوجتي بعد مدة وجيزة، وفي شتاء 1973م وبعد منتصف الليل بدأت تحس بالمخاض، ولم يكن لدي سيارة في ذلك الوقت، فاستدعيت سيارة أجرة، وذهبت بزوجتي إلى المستشفى، وتركنا ابنتنا الوحيدة في المنزل، وكان كل همي أن أوصل زوجتي للمستشفى لأعود إلى المنزل، وبالفعل أدخلت زوجتي للمستشفى، وتأكدت من كل الإجراءات، ثم عدت إلى المنزل وأبلغتهم بأن يتصلوا بي عند الولادة. وعند عودتي، واطمئناني على ابنتي جاءني اتصال من المستشفى يفيد بأنني رزقت بابن، حمدت الله وشكرته، وذهبت مع ابنتي إلى المستشفى، واطمأننت على زوجتي والمولود الجديد الذي أسميناه (عمرو).

لقد عانت أم عمرو كثيراً في تربية ندى وعمرو، حيث كانا متقاربين في السن، فأدعو الله أن يجزيها خير الجزاء.

في الكلية جهّز لي القسم مختبرًا صغيرًا مزودًا بجميع الأجهزة العلمية والأدوات المخبرية والمذيبات وكل ما احتاج إليه، واجتمعت مع رئيس القسم Patel الذي تم تعيينه مشرفًا على دراستي هو ومساعده الدكتور ألن، وناقشنا موضوع رسالة الماجستير، حيث كان القبول الذي حصلت عليه من الكلية هو قبول لدرجة الماجستير مع التحويل للدكتوراه في حال كنت متميزًا في الموضوع المقترح للدراسة. اختار المشرف على موضوع الرسالة

عنوانًا لها، وهو (الدراسة العقاقيرية والكيميائية والدوائية لأربعة نباتات من نباتات الفصيلة الشفوية).

أوراق النباتات الأربعة التي كانت موضوع رسالتي للدكتوراه
(صورت هذه الصورة في المختبر عام 1973م).

قمت بالبحث عن الدراسات التي قامت على هذه النباتات الأربعة؛ وذلك لكي أبدأ من حيث انتهت هذه الدراسات. كان البحث عبارة عن الدراسة الظاهرية والمجهرية لجميع أجزاء النباتات الأربعة، ثم الدراسة الكيميائية العقاقيرية لها من حيث استخلاص المواد الفعالة في هذه النباتات عن طريق أجهزة الاستخلاص وفصل المركبات على هيئة بلورات نقية، ثم بعد ذلك أقوم بتحليل هذه المركبات المفصولة، سواء أكانت في الحالة الصلبة أم السائلة، وذلك من أجل معرفة صيغها الكيميائية عن طريق أجهزة الرنين المغناطيسي وأجهزة مطياف الكتلة والكروماتوجرفيا، وكذلك الأشعة تحت وفوق البنفسجية ومعرفة

درجة الذوبان والانصهار لكل مركب من المركبات المفصولة، ثم مقارنتها مع مركبات سبق تشييدها أو مركبات أخرى مفصولة من نباتات أخرى؛ لكي نتأكد من صحة هذه المركبات، بعد ذلك ترسل هذه المركبات التي عُرفت صيغها الكيميائية إلى قسم علم الأدوية؛ لدراسة تأثيرها في حيوانات التجارب. لا بد من أن يكون هناك مركبات جديدة لم يسبق أن تم فصلها من نباتات أخرى، حيث إن درجة الدكتوراه يشترط في الحصول عليها فصل مركبات جديدة.

في أكتوبر 1973م قامت الحرب بين مصر وإسرائيل، وقد أمر الملك فيصل رحمه الله في ذلك الوقت بوقف ضخ البترول إلى الغرب، وهنا أذكر في إحدى الليالي أن نشرات الأخبار التلفزيونية كانت تحث الجميع على الترشيد في استخدام الكهرباء والبنزين والطاقة، بعد هذا الخبر نظرت من النافذة وإذا بغالبية المنازل التي أراها قد انطفأ النور فيها، واستخدم سكانها الشمع نوعًا من الترشيد، وهذا يدل على وعي المجتمع، وكذلك لم أعد أشاهد السيارات في الطرق إلا نادراً، حيث استبدلوا بها الدراجات الهوائية بهدف توفير الطاقة، كنت أتوقع أن تكون هناك ردة فعل تجاه العرب أو السعوديين على وجه الخصوص، ولكن لم أشعر بأي تغير في المعاملة، سواء في الشارع أم في الكلية، ومرت هذه الأزمة على العرب في بريطانيا بسلام.

ذكرت سابقًا أن قبولي في الكلية كان على أساس Mphil with transfer with possibility to Phd. بمعنى أنه في حال تميزي في

دراساتي الأولية للماجستير يتم تحويلي إلى مرحلة دراسة الدكتوراه مباشرة على الموضوع نفسه. بعد مضي سنة ونصف من دراستي طلب مني المشرف على الرسالة إعداد تقرير عما توصلت إليه في هذه المرحلة ورفعه إلى لجنة مكونة من عدد من الأساتذة لتقييمه وفيما إذا كان يستحق التحويل إلى درجة الدكتوراه من عدمه أو يكتفى بمنحي درجة الماجستير في الفلسفة. كان قرار اللجنة هو تميز الدراسة، وحولتني من ثم إلى المواصلة في رسالة الدكتوراه مباشرة على الموضوع نفسه واستكمال الدراسة على هذه النباتات لأحصل على درجة الدكتوراه، وقد وصلني خطاب من القسم مفاده إنني نجحت في الدراسات التي قمت بها، واستحققت التحويل إلى درجة الدكتوراه مباشرة.

استمررت في استكمال موضوع البحث الذي بدأته، وكنت أذهب إلى الكلية في الثامنة صباحًا وأستمر في المختبر حتى التاسعة ليلاً لدرجة أنني كنت أذهب إلى الكلية يوم السبت وأحياناً يوم الأحد إذا كانت بعض التجارب المخبرية تستدعي ذلك.

النظام في الجامعة كان يسهل على الطالب الكثير من الأمور، سواء في المكتبة للحصول على المراجع أم في المستودع الذي أطلب منه الكيماويات والمذيبات التي أحتاج إليها في بحثي. كنت أمضي في المختبر وقتاً أكثر من الوقت الذي أقضيه مع عائلتي، وكانت زوجتي الغالية حريصة على تهيئة المناخ اللازم لدراستي، وكانت تعتني بأطفالي.

مع المشرف المساعد على رسالتي د. ألن
في حديقة النباتات الطبية بليفربول عام 1973م.

وذات يوم، وأنا في المختبر أجري أبحاثي غارقاً في المعادلات الكيميائية حضر المشرف على رسالتي، وقال لي: توقف يا جابر، عن البحث، ثم سكت، وفوجئت بما قال، حيث إنني أمضيت سنين في هذه التجارب، ولاحظ المشرف علامات التعجب والدهشة والخوف واضحة على وجهي، ثم ابتسم، وقال: توقف يا جابر، عن البحث وابدأ في كتابة رسالة الدكتوراه، حيث إن لديك كمًّا هائلًا من المعلومات التي توصلت لها.. تنفست الصعداء، ولكم أن تتخيلوا فرحتي بهذا الخبر الذي يعني أنني شارفت على الحصول على درجة الدكتوراه والعودة إلى أرض الوطن وأنا أحمل أعلى شهادة وتحقيق حلمي القديم.

عام 1975م أصابتنا فاجعة كبيرة عند سماعنا خبر وفاة الملك فيصل رحمه الله، لقد تأثرنا كثيراً بهذا الخبر، لم يكن شخصاً اعتيادياً حيث كان صيته داخل كل بيت في بريطانيا، فعلى الرغم من أنه أوقف تصدير البترول في حرب 1973م إلا أن البريطانيين كانوا يرون أنه رجل قوي وشجاع وسياسي محنك وقائد عظيم مخلص لبلاده، أذكر في ليلة وفاته أن جارتنا وهي سيدة طاعنة في السن جلست على الأرض، ثم قامت تدعو رافعة يديها إلى السماء، وهي كاثولوكية، ومكثت على هذا الحال أكثر من نصف ساعة وعندما انتهت قلت لها: ماذا كنت تفعلين؟ فقالت: كنت أصلي على روح الملك فيصل، وقالت: لقد مات مقتولاً، وهو يؤدي مهام عمله وأنا أعلم أنه قائد عظيم لشعبه. في صباح اليوم اللاحق قام كل من في الكلية بتعزيتي، وهم يذكرون محاسن إدارته للأزمات وإخلاصه لوطنه وشعبه.

مع الأخ العزيز عبدالله بن سعيد أبو ملحة في أثناء زيارته لنا في ليفربول عام 1974م.

مع الأستاذ عبدالله النعيم في عقبة شعار بأبها صيف عام 1975م.

كانت المرحلة المقبلة هي البدء في كتابة الرسالة، قمت بكتابة الرسالة في أبواب، وعند الانتهاء من كتابة كل باب أسلمه إلى المشرف ليطّلع، ويبدي رأيه وملاحظاته حتى انتهيت من كتابة الرسالة، وقام المشرف بعد ذلك بالاطلاع عليها، وطلب من عمادة الكلية تحديد لجنة لمناقشة الرسالة وتحديد موعد المناقشة، عادة تتكون اللجنة من عضو خارجي أو عضوان خارجيين إضافة إلى المشرف، وفي حالتي كان هناك عضاين خارجيان هما الدكتور W. C. Evans وهو من كلية الصيدلة بجامعة نوتنجهام، والآخر هو الدكتور F. Newcobe من جامعة بلفاست.

تم إرسال رسالتي إلى كل منهما ليقرأاها ويدوّنا ملاحظاتهما عليها، ويجهّزا أسئلتهما على الرسالة. وبعد شهر حددا ميعاد

مناقشة الرسالة، كان موعد المناقشة الساعة الواحدة بعد الظهر، وفي بريطانيا لا تكون مناقشة الدكتوراه علنية، ولكنها تتم في مكتب صغير يحضر فيه المحكمان والمشرف والطالب. جاء الموعد المنتظر، وحضرت في الموقع الذي تم تحديده مسبقًا. بدأ أحد المحكمين بطرح أسئلته، وقمت بالإجابة عنها، ثم بدأ الآخر بطرح أسئلته واجبت عنها والمشرف صامت ليس له حق المناقشة.

استغرقت المناقشة ثلاث ساعات وأخيرًا قالا: مبارك، لقد حصلت على درجة الدكتوراه، ولكن هناك بعض الأخطاء المطبعية وبعض الملاحظات البسيطة صححها، وسلم ست نسخ إلى المشرف بعد تجليدها، نسخة للمشرف، ونسخة للكلية، ونسخة للمكتبة، ونسخة لكل من المحكمين، ونسخة للمجلس الأعلى الأكاديمي في بريطانيا المسؤول عن منح الشهادة، بعدها يقوم المحكمان بإشعار المجلس الأعلى الأكاديمي البريطاني بطلب منح درجة الدكتوراه، ثم بعدها يتم إصدار الشهادة بناء على قرار المحكمين، ويتم إرسال نسخة للملحق الثقافي في لندن، ونسخة للمكتبة المركزية في مدينة ليفربول، ونسخة لكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود، ونسخة للمكتبة المركزية بجامعة الملك سعود. مُنحت درجة الدكتوراه في شهر يوليو عام 1976م.

خلال فترة دراستي في بريطانيا اكتسبت كثيرًا من الخبرات خلاف الدراسة العلمية، حيث اطّلعت على ثقافة مختلفة تمامًا عن ثقافتنا، وكذلك تغيرت كثير من المفاهيم لدي، وتغيرت طريقة

تفكيري ومعيشتي ولا شك أنني استفدت كثيرًا من تلك الفترة التي انعكست على حياتي وحياة أسرتي، إضافة إلى أننا لم نشعر بالغربة كثيراً، حيث كان لنا أصدقاء كثر في ليفربول ومانشستر ومختلف المدن البريطانية، فكانت الزيارات متبادلة باستمرار، أذكر منهم أخي وعزيزي الدكتور عبدالله البدر، والدكتور محمد عثمان الراشد، والدكتور صالح العمرو، والدكتور عبدالكريم التلمساني، والدكتور محمد اليحيى، والدكتور بكر خشيم، والدكتور شرف العبدلي، والدكتور عبدالقادر البحيري، وراشد العوهلي، وجاء أخيراً الدكتور عبدالعزيز السحيباني.

مع الأخوين محمد الشعفي وعبدالله البدر في ليفربول عام 1975م.

COUNCIL FOR NATIONAL ACADEMIC AWARDS

JABER SALEM MOSSA

has been awarded the degree of

DOCTOR OF PHILOSOPHY

in recognition of a programme of work entitled

'Pharmacognostical Studies in the Genus Stachys'

carried out at Liverpool Polytechnic

1st July 1976

Rector
Liverpool Polytechnic

Chairman

Chief Officer
COUNCIL FOR NATIONAL ACADEMIC AWARDS

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة عسير

شهادة

يسر إمارة منطقة عسير أن تقدم شهادة تقدير واعتزاز للدكتور جابر سالم القحطاني حيث كان أول شاب من منطقة عسير يحصل على شهادة الدكتوراه في الصيدلة عام من جامعة

وترجو له من الله التوفيق

أبها في ٢١ رمضان ١٤٠٤هـ

أمير منطقة عسير
خالد الفيصل بن عبد العزيز

شهادة من أمير منطقة عسير؛ لأني أول شخص من المنطقة يحصل على شهادة الدكتوراه في الصيدلة عام 1984م.

obeikandl.com

حصولي على درجة الدكتوراه
وعودتي إلى أرض الوطن

حصلت على درجة الدكتوراه في شهر يوليو من عام 1976م، وعدت إلى المملكة في بداية شهر رمضان من ذلك العام، لقد تغيّرت الرياض كثيراً، وجدت الطرقات مرصوفة ومشجرة والأحياء بدأت في التوسع والانتشار، وبدأ استخدام الهاتف على نطاق واسع بعد أن كان محصوراً على الجهات الحكومية، كانت أسعار تأجير العقارات مرتفعة جدّاً بسبب الطفرة في ذلك الوقت، كانت المشروعات تنمو في كل الأرجاء وعجلة التنمية كانت تدور بكل طاقتها.

عينت على وظيفة مدرس، وهي الوظيفة التي كان يعين عليها من يحصل على درجة الدكتوراه في جامعة الملك سعود، ثم عدل هذا النظام بعد تعييني بنحو ستة أشهر، حيث غيرت الجامعة هذا النظام، إذ رقي كل من عينوا على وظيفة مدرس من حملة الدكتوراه إلى مرتبة أستاذ مساعد. وبدأت أدرّس مقررات العقاقير مع زملائي. وكنت أول سعودي يحمل درجة الدكتوراه في العقاقير وكيمياء العقاقير، وكان قبلي أحد الزملاء، وهو الدكتور فريد جلال المهتدي الذي حصل على الدكتوراه في كيمياء العقاقير، وأيضاً كنت أول شخص يحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة من منطقة عسير.

في ذلك الوقت أنشأ الزملاء الدكتور إبراهيم عبدالكريم الصويغ، والدكتور أحمد جادو من الكلية، والدكتور صالح أزمرلي من كلية العلوم قسم الكيمياء قبل مجيئي وحدة أسموها «وحدة النباتات الطبية» وكان الهدف من هذه الوحدة هو اشتراك من يرغب من أعضاء هيئة التدريس، سواء بكلية الصيدلة أم بكلية العلوم في البحث على النباتات الطبية السعودية. وفعلاً بدؤوا نشاطهم البحثي إلا أن هذه الوحدة أهملت ربما لبعض الظروف أو ربما لعدم وجود الدعم.

وعندما عدت فكرت أن أحيي إنشاء هذه الوحدة، فأنشأتها طبعاً بمساعدة الدكتور إبراهيم الصويغ الذي كان عميداً للكلية، حيث هيأ لها متطلباتها، وقد سميت هذه الوحدة «وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة» وبدأت أطلب من أعضاء هيئة التدريس في الكلية المساهمة في هذه الوحدة، وقد تشجع عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس، ومنهم آنذاك الدكتور يوسف عز الدين وهو أستاذ مصري متعاقد مع الكلية، والدكتور حميدة العبيد وهو سوداني متعاقد مع الكلية، والدكتور أحمد إسماعيل جادو وهو أستاذ في الكلية والدكتور محمد اليحيى وهو من قسم العقاقير، والدكتور محمود علي حسن من قسم الكيمياء الصيدلية وهو متعاقد مع الكلية وكان في الحقيقة من أنشط الباحثين. وقد خصص عميد الكلية آنذاك مختبراً خاصاً بهذه الوحدة زوده بكل الإمكانات.

ووضعت برنامجاً لجمع النباتات الطبية من مختلف أنحاء المملكة وإخضاعها للبحث العلمي، وكان الهدف من ذلك هو حصر النباتات الطبية في المملكة؛ لأننا لم نكن نعرف عنها أي شيء؛ لذا وجب إخضاعها للبحث العلمي ونشر تلك البحوث في مجلات علمية عالمية محكمة، وكذلك عمل معشبة (مكتبة عشبية) لحفظ عينات من النباتات الطبية.

في نهاية السنة الأولى التي عدت فيها من البعثة، وخلال الفصل الصيفي رشحتني الجامعة لرئاسة فريق الجامعة الرياضي للذهاب إلى دولة الكويت؛ للمشاركة في مختلف الأنشطة الرياضية مع جامعة الكويت، كان الفريق الرياضي مكوناً من 112 عضواً في مختلف الألعاب الرياضية، مثل كرة القدم، والسلة، والطائرة والتنس، وألعاب القوى والجري. وكان عدد المدربين 13 عضواً، وصحفياً ومحاسباً مالياً، ذهبنا بطائرة خاصة، وعندما وصلنا الكويت رحبوا بنا أجمل ترحيب، وهيَّؤوا لنا سكناً مناسباً، ومكثنا أربعة عشر يوماً خضنا خلالها مباريات عدة معهم في كل الأنشطة الرياضية المذكورة آنفاً، وتغلبنا عليهم في كل الأنشطة عدا كرة الطائرة والتنس. عدنا إلى المملكة، وقد حصدنا جوائز عدة.

في آخر أيام المباريات أقيم حفل كبير من قبل جامعة الكويت للمشاركين في هذه الأنشطة الرياضية، وأقمنا حفلاً كبيراً للرياضيين الكويتيين ومدربيهم والمسؤولين في جامعة الكويت، وفي نهاية الحفل تقدمت بالشكر للمسؤولين في جامعة الكويت، وقدمنا لهم هدايا وضع عليها شعار جامعة الملك سعود.

في السنة الثانية رشحت من قبل الجامعة برئاسة فريق جامعة الملك سعود الرياضي إلى تونس، وكان الدكتور إبراهيم ناظر نائباً لي، وكان عدد الرياضيين من الطلاب 115 وعدد المدربين والفنيين 12 ومحاسب مالي وصحفي. ذهبنا في طائرة خاصة إلى تونس، وعندما وصلنا تونس كان في انتظارنا في المطار أعضاء فريق جامعة تونس الذي سوف نجري المباريات معهم، أخذونا إلى الفندق. كنا هناك عندما ذهب الرئيس أنور السادات إلى أمريكا لعقد المعاهدة في كامب ديفيد مع إسرائيل، أذكر هنا أن الشعب التونسي كان في غاية الغضب من هذه الاتفاقية.

لعبنا كل المباريات، وفزنا في ألعاب القوى والسلة، ولكن لم نوفق في جميع الألعاب الباقية.

في رحلة إلى الكويت مع الفريق الرياضي عام 1977م.

بعد عودتي من دراسة الدكتوراه بسنتين عينت وكيلاً لكلية الصيدلة بجانب عملي عضو هيئة تدريس ومشرفًا على وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة ورئيس الفريق الرياضي بكلية الصيدلة. وأوليت جل جهدي للعمل في وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة، وأذكر أنني كنت أقوم بفصل أحد المركبات المهمة من أحد النباتات الطبية، وكانت التجربة التي أجريها من أجل فصل هذا المركب تحتاج من الزمن 24 ساعة لكي أحصل على فصل جيد لهذا المركب. وبالفعل مكثت في المختبر أكثر من 20 ساعة مستمرة؛ لإكمال هذه التجربة، ومن أجل الحصول على المركب. (وفي الحقيقة أن زوجتي كان لها أكبر الأثر في دراستي وفي أبحاثي وفي دعمي، ولم تتذمر من كثرة انشغالي، حتى خلال دراستي لمرحلة الدكتوراه كنت أمكث في المختبر إلى الساعة التاسعة مساء، وكانت تقدر ظروفي، وتدعم استمراري في العمل الدؤوب).

في هذه الفترة رزقنا بمولودنا الثالث في أكتوبر 1978م وأسميناه (صخر)، إذ كان يعرض في ذلك الوقت مسلسل تاريخي بعنوان (الخنساء) ولقد أعجبت بشخصية أخيها صخر، وقررنا تسمية المولود الجديد بهذا الاسم.

انتهت عمادة الدكتور الصويغ عام 1980م حيث عين وقتها عميداً لكلية العلوم الطبية التطبيقية، وهي كلية جديدة أنشئت في جامعة الملك سعود، وتحتاج إلى رجل قوي ومخلص، وهذه الصفات تتوافر في الدكتور الصويغ، وأسعدني كثيراً أن عملت

من اليمين الدكتور إبراهيم الصويغ – جابر القحطاني - الدكتور محمد عفت - الدكتور عبدالرحيم مراد في سياتل الأمريكية لحضور مؤتمر عام 1978م.

معه، فقد تعلمت منه الشيء الكثير، وهو في الحقيقة كفاءة لا تقدر بثمن. انتهت فترة وكالتي للكلية، ورشحت مباشرة لرئاسة قسم العقاقير، ومكثت سنة واحدة، ثم طلبني عميد كلية الدراسات العليا في الجامعة الأستاذ الدكتور أسامة عبدالرحمن عثمان ذلك الإداري المحنك والشاعر الكبير، لأن أكون وكيلاً لكلية الدراسات العليا بالجامعة، وفي الوقت نفسه طلبني عميد كلية الطب في فرع جامعة الملك سعود بأبها الدكتور زهير السباعي لأكون وكيلاً لكلية الطب في أبها، وكل إنسان يطمح إلى العمل مع أي من هذين

العملاقين، إلا أنني فضلت العمل مع الأستاذ الدكتور أسامة عبدالرحمن؛ لكوني قد استقررت في الرياض، ولكوني مشرفاً على وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة التي كانت وقتها شعلة من النشاط. إضافة إلى أن العمل مع إداري لديه من الخبرة الإدارية ما لا تتوافر في غيره قد تكسبني الكثير من الخبرات.

عملت مع الدكتور أسامة عبدالرحمن ذلك الرجل الديموقراطي الذي يدير الكلية إدارة فنية خالصة، ولا يعرف البيروقراطية، واستفدت كثيراً من طريقة إدارته، فكان بطريقة إدارته الفنية يمنح الثقة لكل العاملين معه، فكان نعم الإداري، ونعم الأخلاق، والدكتور أسامة لا يحتاج إلى شهادة، فهو معروف على مستوى المملكة. لقد طُلب في مناصب كثيرة وكبيرة، ولكنه رفض؛ لأنه من الناس الذين لا يجاملون، ومن الناس الذين لا يصبرون على الضيم.

لقد عملت معه سنة كاملة، حيث رشحت لأن أكون عميداً لكلية الصيدلة بعد انتهاء فترة عمادة الأخ الدكتور عبدالله البدر، وقد شجعني في القبول، حيث عينت عميداً لكلية الصيدلة عام 1983م، ولم أتوقف عن العمل في وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة، فقد حققنا نتائج عظيمة، وأنشأنا مكتبة عشبية للنباتات الطبية والعطرية والسامة، هي الآن أكبر معشبة في الوطن العربي، وهي بمنزلة مكتبة يستفيد منها الباحثون في جميع أنحاء المنطقة العربية، إذ تحتوي على كل نبات بُحث مخبرياً، وصُنّف تصنيفاً

نباتيّاً عالميّاً. وفـي أثناء عمادتي للكلية رفعت مذكرة إلى المجلس العلمي بتحويل وحدة أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة إلى مركـز لأبحاث النباتـات الطبية والعطرية والسـامة يتبع للجامعة، ولكن مقره كلية الصـيدلة، يكون له مجلـس إدارة، ويمثل المجلس خمسة أعضاء من أقسام كلية الصيدلة الخمسة، وعضو من كل من قسـمي النبات والكيمياء من كلية العلوم، وعضو من كلية الزراعة، وعضـو من كلية الطب، وعضـو من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنيـة على أن يكون لهـذا المركز هيكل خاص، ويكون مسـتقلاً بذاته يتبع الجامعة وله ميزانية مستقلة، وأن تكون له وحدات بحثية في مختلف مناطق المملكة.

وقد وافق المجلس العلمي على إنشـاء هذا المركز، وخصص له فـي مخططات الجامعـة الجديدة بالدرعية مختبـرات في كلية الصيدلة، وأنشـئت حديقة كبيرة بمساحة عشرين ألف متر مربع، وهـي أكبر حديقة نباتـات طبية في الوطن العربي. تجدد عضـوية أعضـاء مجلس إدارة المركز كل سـنتين، وقد قام المركز بتسجيل أكثر من ثلاثة آلاف نبات طبي، وتضم هذه النباتات معشبة المركز مرتبـة بالحـروف الأبجديـة فـي رفوف ودواليب صـنعت بحسـب المواصفات العالمية لهذا الغرض.

حفل توديع أحد أعضاء هيئة التدريس عام 1983م

مكثت عميداً لكلية الصيدلة ثلاث سنوات، ثم فضلت أن أتفرغ للبحث العلمي، حيث رُقّيت إلى درجة أستاذ مشارك عام 1982م، ورقيت إلى درجة أستاذ عام 1986م، وعينت رئيساً لقسم العقاقير بعد انتهاء فترة عمادتي بناء على رغبتي، ومكثت رئيساً لقسم العقاقير من عام 1986م إلى أن تقاعدت عام 2008م، أي بقيت رئيساً للقسم 22 سنة، فلم يسبق لأي شخص في جامعة الملك سعود أن مكث هذه الفترة، ولقد طلبت التقاعد عام 2008م حيث قضيت 41 سنة في خدمة الجامعة بجانب عملي مديراً لمركز أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة.

اجتماع مع أساتذة من جامعة بوردو الأمريكية لمناقشة اتفاقية التعاون عام 1983م.

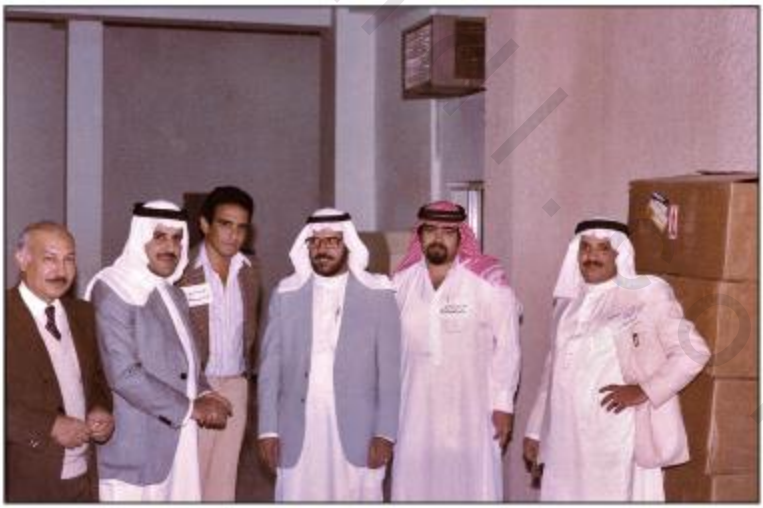

صورة تجمعني مع د. عبدالله البدر، ود. إبراهيم المشعل، ود. محمد كراوية وبعض الطلبة في كلية الصيدلة عام 1982م.

ومن الطرائف في تلك الفترة أنني سافرت أنا وزميلي الدكتور عبدالله البدر إلى السودان؛ للتعاقد مع أعضاء هيئة تدريس وفنيين، وعندما انتهينا من التعاقد، وكان ذلك في مدينة الخرطوم في كلية الصيدلة، توجهنا إلى مطار الخرطوم لمغادرتها إلى جمهورية مصر العربية من أجل التعاقد مع مدرسين وفنيين.

وعند باب الطائرة طلبوا منا فتح الحقائب وتفتيشها، ولا نعلم السبب، فأول مرة يحدث لنا مثل هذا الأمر، ولسنا وحدنا، وإنما جميع الركاب، وقد أخذ ذلك وقتاً طويلاً، تعكرت أمزجتنا، وركبنا الطائرة، وأخذنا أماكننا، وربطنا الأحزمة وبعد إقلاع الطائرة بربع ساعة أحضرت المضيفة لكل منا قارورة ويسكي، فذهلنا كل الذهول كيف يقوم بلد مسلم بتوزيع قوارير خمر لركاب مسلمين، ورفضناها وغضبنا غضباً شديداً ووبخنا المضيفة، وعندما جاء موعد تقديم وجبة العشاء رفضناها، وحاولت المضيفة أن ترضينا ولكننا صممنا ألا نذوق أي شيء في هذه الطائرة حتى لو كان كوباً من الماء، وعندما اقتربنا من مطار القاهرة كنت أقول لزميلي عبدالله البدر: سنذهب إلى الفندق، ونتعشى عشاء جيدًا، ونرتاح بعد المعاناة التي عانيناها في مطار الخرطوم والطائرة.

وعندما وصلنا مطار القاهرة، وتوجهنا إلى الجوازات بحسب العادة لتختيم جوازاتنا كان الأخ عبدالله البدر عند أحد القائمين على تختيم الجواز، وأنا بجانبه عند شخص آخر. ختم المراقب جواز زميلي الدكتور البدر وخرج من منطقة الجوازات وجلس

ينتظرني على مسافة 5 أمتار. ولكن الشخص الذي كان يدقق جواز سفري قال: أين شهادة تلقيح الحمى الصفراء؟ فقلت: ليس لدي شهادة الحمى الصفراء؛ لأنني لم أسافر إلى جنوب السودان، ولم أخرج من الخرطوم وهذه أوراقنا وكذلك أسماء الأشخاص الذين قابلناهم في كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم، وهذه فواتير السكن في مدينة الخرطوم. قال لي: لا بد أن نحجزك في المحجر مدة أسبوع قلت أنا وزميلي: كيف سمح لزميلي الأخ الذي بجوارك وختم جوازه ولم يسأله عن شهادة التلقيح؟ فقال: لا بد أن يذهب معك هو الآخر إلى المحجر. قلنا له: لدينا مقابلات طوال أيام الأسبوع الذي سوف نمكث فيه في المحجر، ولدينا مواعيد بالساعات لكل من نقابلهم، وقد حددت هذه المواعيد من السعودية مسبقًا. فقال: لا بد من حجزكم في المحجر ولم نستطع إقناعه بظروفنا. ذهبنا إلى المحجر، وأسكنونا في غرفة 2 x 2 متر، وبها حمام مخلوع بابه والشراشف التي على السرر كلها مرشوشة بدماء وقذرة جدًا لم أرَ ولن أرى في حياتي أقذر منها.

جلست في ركن من الغرفة وزميلي الدكتور البدر كان واقعيًا وقال: يا جابر، تمدد ونم، هذا فندق هيلتون الذي كنا ننوي أن نتناول عشاء شهيًا فيه. تمدد زميلي الدكتور البدر على سريره، وأنا مكثت في مكاني؛ لأنني لا أتصور نفسي نائماً على ذلك السرير. قمت إلى الحمام من أجل الوضوء، وعندما دخلت الحمام وجدت الحمام عبارة عن مستنقع مليء بالبعوض الذي ينهش من يدخل

فيه، لم أستطع الوضوء، ولم أستطع النوم حتى الصباح، وفي الحقيقة كنت أفكر كيف نخرج من هذا المأزق. وفي الصباح الباكر أحضروا لكل واحد منا بيضتين مسلوقتين ورغيفًا لا أدري من أي دقيق صنع ذلك الرغيف، شكله مقرف وأما البيض فعلى الرغم من أنهم سلقوه إلا أن فضلات الدجاج ما زالت لاصقة به. طبعاً لم أحاول حتى مسكه. وبعد نحو نصف ساعة أخرجونا إلى ساحة كبيرة، وإذا بنا برجل من كندا لم أدرِ من أين قدم، لكنه أدخل المحجر، وقال لنا بعض الموظفين: إن هذا الكندي قد أمضى ستة أيام وبقي عليه يوم واحد.

لم أتصور كيف أمضى هذا الكندي الأيام الستة، لو أمضيت يومين فقط في هذا المحجر فلن أخرج إلا إلى المقبرة. سألت أحد العاملين: هل المدير موجود؟ فقال: نعم، قلت لزميلي الدكتور عبدالله البدر: سوف أذهب للمدير؛ لأنني لا أتحمل الجلوس ساعة في هذا المكان، قال: لا تتعب نفسك لا بد من المكوث في هذا المكان مدة أسبوع مثل الكندي الذي يتشمس أمامك.

أخذت كل الأوراق ومواعيد المقابلات والفنادق التي سكنا فيها في الخرطوم وإثبات عدم مغادرتنا مدينة الخرطوم. قابلت المدير وهو طبيب وشرحت له حالتنا، وقلت: إن لدينا بعد ساعتين مواعيد المقابلة لأعضاء هيئة التدريس، وإننا قد دفعنا أجرة الفندق عندما حجزنا من السعودية. وأعطيته كل الأوراق وفواتير سكننا في فندق بالخرطوم وأسماء الناس من أعضاء

هيئة التدريس والفنيين بجامعة الخرطوم. بعد اطلاعه على كل الإثباتات تأثر كثيراً من تصرف رجل الجوازات في المطار، ولا سيما أننا لم نغادر الخرطوم. واستدعى مدير مكتبه وقال: جهز سيارة نظيفة واستدعِ السائق جمال، وقل له يأخذ الدكتور جابر وزميله إلى مقر إقامتهما في القاهرة وبأسرع وقت ممكن، وتأسف تأسفاً شديداً لما حصل.

وعدت إلى غرفتنا (النظيفة) وقلت لزميلي الدكتور عبدالله البدر: احمل حقيبتك، فقال: إلى أين؟ قلت: إلى فندق هيلتون، قال: (خِرطيّ) قلت: إذا كنت ترغب في الجلوس في هذه الغرفة النظيفة فلك ذلك، وأخذت حقيبتي: وذهبت إلى خارج المحجر، وأنا خارج من الغرفة جاء اثنان من موظفي المحجر أرسلهما مدير المحجر لحمل أمتعتنا إلى السيارة التي ستأخذنا إلى الفندق. لم يصدق زميلي البدر ما حدث وبهذه السرعة إلا بعدما حضر الموظف لحمل حقيبته. وفعلاً ركبنا سيارة المحجر إلى مكان إقامتنا بفندق هيلتون. وفعلاً قابلنا أعضاء هيئة التدريس الذين قد سبق تحديد مواعيد لمقابلتهم مسبقاً.

هذه القصة نتحدث عنها أنا وزميلي الدكتور عبدالله البدر اليوم، وكان عبدالله البدر يقول وقتها: «هذه القصة ستكون تاريخاً نحكيه لأولادنا».

مع الأخ الدكتور عبدالله البدر في أثناء حضورنا مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب في الكويت عام 1977م.

أما قصة رحلتي إلى نيودلهي للتعاقد مع فنيين فبدأت عندما وصلت المطار، وسألت صاحب سيارة أجرة لكي يوصلني إلى فندق شيراتون، وفي الطريق قال لي: توجد عائلة هندية مكونة من زوج وزوجة كانا يعملان مضيفين في الخطوط الهندية، ثم تقاعدا، وقررا جعل منزلهما الجميل في ضواحي نيودلهي نزلاً (أوتيل) يقومان بأنفسهما بخدمة الساكن، بحيث يشعر وكأنه في منزله. ونظراً لأنني دوماً أحب المغامرة، فقد وافقت أن يأخذني إلى ذلك المنزل. كنت في الطريق خائفاً من أن يأخذني إلى أي مكان، ويغدر بي، ولكنني توكلت على الله وقلت: «لن يصيبني إلا ما كتب الله لي». وصلت إلى هذا المنزل الجميل الذي يقع كما ذكرت سابقاً في ضاحية من أغنى ضواحي نيودلهي، كان ذلك نحو الساعة التاسعة

مساء. دخلت هذا المنزل، وكان في استقبالي صاحب المنزل، وخيرني بين الغرف وهي كلها جيدة إلا أن المنظر الذي تقع عليه يختلف، والسعر يختلف باختلاف المنظر، اخترت غرفة تطل على أشجار كبيرة، وهي التي استطعت تمييزها؛ لأن الظلام حالك. وفي الصباح الباكر نظرت من النافذة، فوجدت منظراً رائعاً من الأشجار المختلفة الأشكال والتلال الخضراء الجميلة، لكن الذي لفت انتباهي أنه في وسط هذه الأشجار الكبيرة ذات الأفرع الممتدة لاحظت أنه توجد امرأة وأولادها الصغار الثلاثة يتخذون من هذه الشجرة مسكناً لهم، كان هناك سرير واحد وطاولة مكواة وملابس نظيفة جاهزة للكي، وعندما جاء المساء قامت الأم بتعليق شراشف كبيرة في أفرع الشجرة، وكانت عبارة عن سرر لأطفالها، حيث ينامون في هذه السرر المعلقة.

سألت صاحبة المنزل الذي أسكن فيه: لماذا هذه المرأة وأطفالها ينامون ويقطنون تحت هذه الشجرة، ألا يوجد مسكن خاص بهم؟ فقالت المرأة: إن هذه المرأة توفي زوجها قبل سنتين ولم يترك لهم شيئاً، وهي لا تستطيع أن تستأجر سكناً لها ولأولادها، ولذلك اتخذت من هذه الشجرة سكناً لها ولأولادها، وتقوم بكي ملابس الناس، وتصرف على نفسها وأولادها من أجرة الكي، ولاحظت أن الفلل الموجودة في هذا الحي راقية جداً جداً وذات أفنية واسعة مزروعة بأنواع المانجو التي لم أشاهد مثلها من قبل، وكذلك الموز.

كنت أذهب للقنصلية السعودية من أجل مقابلة الأشخاص الذين سوف أتعاقد معهم، وبعد ثلاثة أيام انتهيت من المقابلات. وفي عصر اليوم الثالث ذهبت للمشي في الحي الراقي الذي أقطنه، وبينما كنت أمشي على رصيف تحيط به غابة من جهة والجهات الأخرى مفتوحة فوجئت بكلب كبير يهاجمني، وصرخت خوفاً من ذلك الكلب إلا أنه قفز علي وعضني في ساقي عضة قوية ومزق جزءًا من بنطلوني، وقد حاولت رفسه ولكنه متوحش، وقد أنقذني اثنان من الهنود، جزاهما الله خيراً.

رجعت إلى حيث أسكن، وطلبت من صاحب المنزل أخذي إلى أقرب مستشفى، حيث خشيت أن يكون هذا الكلب مسعوراً، وفعلاً أخذني إلى المستشفى، وحقنوني بحقنة مضادة للسعار ونظفوا مكان العضة ووضعوا عليها غياراً، وقالوا: إذا أمكن تراجعنا بعد يومين. وقد راجعتهم بحسب الموعد الذي حددوه وقاموا بتغير الغيار على عضة الكلب، وقالوا: يمكنك السفر، وأنت الآن على خير ما يرام. سافرت إلى السعودية وأنا أحمل أبشع الذكريات عن الهند.

في شهر يناير من عام 1985م رزقنا بمولودنا الأخير مهند الذي كان لمجيئه أثر كبير في تغيير حالة المنزل، حيث إن ندى، وعمرو، وصخر قد كبروا ووجود مهند طفلاً في المنزل أضفى عليه طعمًا جميلًا لنا جميعاً.

اكتشاف مركب سعودين

كان هدفي الوحيد هو البحث العلمي، وكنت مولعاً جدّاً بالنباتات واكتشاف أسرارها، وأذكر عندما كنت معيداً في كلية الصيدلة قبل سفري لدراسة الدكتوراه، كنت عند سفري لقضاء الإجازة في أبها أقوم بجمع بعض النباتات، وأقوم بتصبيرها (تجفيفها وحفظها على ألواح) وأكتب بعض المعلومات في الورقة المصبّر عليها النبات، ولقد لفت انتباهي أحد النباتات الشديد المرارة وشكله الزاهي وثماره التي تشبه ثمار الحمّص، وقد لاحظت أن الحيوانات لا تأكله، واحتفظت بعيّنة منه في أحد أدراج مخزن قسم العقاقير.

عندما عدت من البعثة، وأشرفت على وحدة أبحاث النباتات الطبية في الكلية تذكرت ذلك النبات، وتساءلت عما إذا كان لايزال موجوداً في المكان الذي وضعته فيه، ولا سيما أن الدكتور الصويغ قد غيَّر كثيراً في الكلية عندما عيّن عميداً.

عندما اقتربت من المخزن دعوت الله أن أجد هذا النبات، وعندما فتحت الدرج وجدت الظرف الذي بداخله النبات، أخذت النبات إلى المُصنّف النباتي في وحدة أبحاث النباتات الطبية وطلبت منه معلومات عن هذا النبات من الناحية العلمية، ولاسيما أن النبات يحتوي على

الأزهـار والثمـار، وفعـلاً بعـد يومين عرف اسـمه العلمـي، وكان: Cluytia richardiana من الفصيلة الحلّابية.

انصـب كل اهتمامـي على دراسـة هذا النبات الذي سـبق أن جمعتـه من قريتي آل علي فـي تمنية، ذهبت إلى تمنية وقمت بجمع ثلاثـة أكياس (20 كيلو تقريبـاً) بهدف إخضـاعه للبحث العلمي، قمـت بتجفيف النبات جيداً، وفصـلت الأوراق عن السـاق والثمار. سـحقت الأوراق جيداً وأخضعتها للاسـتخلاص المستمر بواسطة البترول الأثيري ذي درجة الغليان ما بين 60-80 درجة مئوية ولمدة عشـرين سـاعة في جهاز الاسـتخلاص، وأجريت اختبـاراً وكانت نتيجـة الاسـتخلاص تؤكد وجود نشـاط المادة المخفضـة لسـكر الدم، ثم أعدت استخلاصـها بواسطة الكلوروفورم، ثم مع الكحول المثيلي، وفي كلتا الخلاصـتين لم يكن هناك أي علامة تشـير إلى وجود أي مادة لها علاقة بتخفيض سكر الدم.

أخضـعت الخلاصـة البترولية الأثيريـة التـي أبدت نشـاطاً ملموسـاً لوجود مادة مضـادة لسـكر الدم للفحص بواسطة طبقة الكروماتوجرافيا الرقيقة على السيليكاجل مستخدماً إيثايل أسيتيت والهكسـان بنسبة 1:1 وذلك لفصـل المواد الموجودة في الخلاصة البترولية الأثيريـة، وبعد إظهـار أقراص كروماتوجرافيا الطبقة الرقيقة في المذيب المستخدم في جار الكروماتوجرام استخدمنا بخـاخ الإظهـار المكـون من الأنيسـالتهيد مـع حمض الكبريتيك ليعطينـا مواقع المركبـات على طبقة الكروماتوجـرام التي أعطت

أربع نقاط واضحة جدّاً. أخضعت الخلاصة البترولية الأثيرية على عمود الكروماتوجرافيا قياس 1 متر الذي عبئ بخمسين جراماً من السيليكاجل نوع 60 عيار 0.20 – 0.05 ملم/ 270–70 ميش، وكان المذيب المستخدم في عمود الكروماتوجرافيا هو إيثايل أستيت مع الهكسان بنسبة 1:1 حيث وضعت خلاصة النبات البترولية الأثيرية بالعمود فوق طبقة السيليكاجل المملوء بذلك العمود، ومن ثم أضيف المذيب المذكور فوق الخلاصة، وبدأنا فصل المواد الموجودة في أوراق النبات.

بدأت في تجميع المواد المفصولة بحسب اللون كلٌّ في إناء خاص على حدة، ثم بعد ذلك ركّزت المواد المفصولة بالتبخير حتى زوال المذيب، وبقيت المادة المفصولة على هيئة مادة صلبة، وكانت النتيجة كالآتي:

- الجزء الأول من المادة المفصولة بالعمود كان حجمه 150 ملل نتج عنه بعد التبخير 8 جرامات من مادة بيضاء كانت عبارة عن شمع، وكانت درجة انصهارها عند 60 درجة مئوية.
- الجزء الثاني من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 150 ملل ولونه أصفر وبعد التبخير نتج عنه جرام واحد من راسب أبيض درجة انصهاره 60 درجة مئوية.
- الجزء الثالث من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 100 ملل وذو لون أحمر، وظهرت بعد التبخير مادة سائلة لزجة ذات لون محمر كانت ANTHOCYANINS.
- الجزء الرابع من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 200 ملل ذو لون أصفر وبعد تبخيره نتج عنه 59 جرام بلورات بيضاء ودرجة انصهاره 265 درجة مئوية.
- الجزء الخامس من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 250 ملل، وكان لونه ما بين الأحمر والأصفر، ونتج عنه بعد تبخيره 600 ملج بلورات بيضاء درجة انصهارها 202 درجة مئوية، وهذا هو المركب المنشود الذي اكتشفته، وأسميته فيما بعد مركب سعودين.
- الجزء السادس من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 100 ملل ذو لون أصفر، ونتج بعد تبخيره 250 ملج بلورات صفراء درجة انصهارها بين 223-250 درجة مئوية.

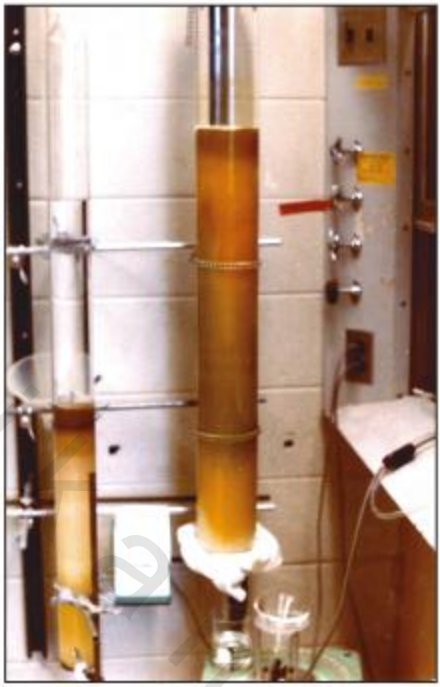

جهاز كروماتوجرافيا العمود الذي تم فصل المركب سعودين من خلاله

- الجزء السابع من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 100 ملل ذو لون برتقالي إلى أصـفر نتج بعد تبخيره 78 ملج من مادة بلورية بيضاء درجة انصهارها عند 275 درجة مئوية.
- الجزء الثامن من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 300 ملل ذو لون أصـفر، ونتج بعد تبخيره مادة سائلة لزجة ذات لون برتقالي.
- الجزء التاسع من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 100 ملل ذو لون برتقالي، ونتج بعد تبخيره مادة لزجة.

- الجزء العاشر من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 100 ملل ذو لون أصفر نتج بعد تبخيره 20 جراماً من راسب ناعم ذي لون أبيض.
- الجزء الحادي عشر من المادة المفصولة من العمود كان حجمه 200 ملل ذو لون أصفر فاتح، ولم ينتج بعد تبخيره أي شيء.

بدأت فصل المركبات المذكورة أعلاه يوم عرفة عام 1402هـ، ومكثت في المختبر من صباح يوم عرفة حتى صباح يوم عيد الأضحى، حيث كان لا بد من مراقبة الجهاز الذي أجمع منه المواد المفصولة خطوة بخطوة، أي إنني لم أنم على الإطلاق تلك الليلة، ولم أقضِ العيد مع أسرتي، لقد كان عملاً شاقّاً، ولكنه أيضاً كان ممتعاً لي، حيث إنني أنتظر اكتشافاً جديداً.

أُرسل المركب المفصول من الجزء الخامس ذي البلورات البيضاء إلى قسم علم الأدوية في الكلية الذي يقوم بإخضاع هذه العينة على حيوانات التجارب، وقد اُستخدم لإجراء هذا الاختبار فئران ذكور من نوع ALBINO ووزن كل فأر يتراوح ما بين 100-150 جراماً، وقد قُسّمت إلى قسمين: القسم الأول فئران صائمة لم تُعطَ أكلاً مدة 20 ساعة، والقسم الثاني فئران غير صائمة أعطيت أكلها اليومي. حقنت الفئران بالبلورات المفصولة من الجزء الخامس الذي يحمل التركيب $C_{20}H_{22}O_7$، عُلّق هذا المركب في مادة 0.5% CARBOXYMETHYL CELLYLOSE (CMC) وحقنت

به الحيوانات غير الصائمة، وهي حيوانات الكونترول، وبجرعة لا تزيد على 1ملل لكل 100ملج، وحقنت الحيوانات الصائمة بالجرعة نفسها من المركب، بعد ذلك تم سحب عينات دم من الحيونات المحقونة، وأخضعت هذه العينات للفحص؛ لمعرفة نسبة الجلوكوز، وقد وجد أن هذا الجزء المفصول خفّض نسبة السكر من 400 إلى 100 وهذه نسبة جيدة.

سبق أن أبرمت الجامعة اتفاقية تعاون للبحث العلمي مع كلية الصيدلة في جامعة بوردو في ولاية إنديانا الأمريكية لمدة خمس سنوات، وكان الفضل في إبرام هذه الاتفاقية يعود لأخي الدكتور إبراهيم الصويغ. وعلى ضوء هذه الاتفاقية ذهبت أنا وزميلي الدكتور محمد اليحيى لقضاء إجازة الصيف لمدة شهرين في مختبرات كلية الصيدلة في جامعة بوردو، وقد حملت معي خلاصات لهذا النبات، وكذلك المركبات التي فصلتها في السعودية وعددها 11 مركباً بعضها على هيئة بلورات نقية، بعضها الآخر على هيئة مواد غير بلورية وأخرى على هيئة مواد سائلة تميل للزوجة.

وقد قمنا بإشعار كلية الصيدلة في جامعة بوردو قبل سفرنا لكي يهيئوا لنا مواقع في مختبراتهم البحثية مدة شهرين كاملين، وبالفعل وجدنا عند وصولنا أن جميع الإمكانات قد هيئت من مواد كيميائية ومذيبات وأجهزة وفنيين وجميع ما نحتاج إليه في عملنا البحثي. تسلّم كل منا مكانه في المختبر، وبدأ كل منا يتولى مهامه البحثية. قمت بإعادة فصل الخلاصات التي أحضرتها معي لكي

أتحقق من صلاحية المواد التي استخدمتها في فصل المواد التي كان عددها 11 مادة، وفعلاً بدأت الفصل باستخدام الطرق نفسها التي استخدمتها في السعودية، وقد وجدت أن بعض الأجزاء المفصولة في جامعة بوردو كانت أنقى بعض الشيء، ولكن الشيء المهم الذي لم أستطع عمله في السعودية هو تحليل المركبات المفصولة ومعرفة صيغها الكيميائية بسبب عدم وجود الأجهزة المتقدمة لدينا في ذلك الوقت. بدأت العمل على جهاز X-RAY CRYS TALLOGRAPHY الذي يظهر الصيغة الكيميائية للمركب، وكذلك جهاز الرنين المغناطيسي وجهاز مطياف الكتلة اللذين يصححان النتائج التي عملت على جهاز الأشعة، بحيث نتأكد من الصيغ الكيميائية للمركبات.

توصلت إلى الصيغة الكيميائية للمركب الذي أسميته سعودين SAUDIN والذي يُعدّ أول مركب ليس له أي علاقة بأي مركبات مفصولة من أي نبات في العالم، وكان هذا المركب ذو الصيغة الكيميائية الموضحة هو مركب تربيني.

بعد عودتي إلى السعودية كان بحوزتي مركب تربيني لم يفصل من قبل، وبدأت أبحث عن كيفية تسجيله لأحصل على براءة اختراع. قمت بمخاطبة دول أوروبية عدة طالباً تسجيل براءة اختراع لهذا المركب، إذ إنه لا يوجد في السعودية مكتب لتسجيل براءات الاختراع آنذاك. أجابت الدول التي راسلتها بأنه لا يمكنهم تسجيل براءة اختراع لأي مركب ما لم يتم عمله كاملاً أو جزء منه

في مختبراتهم، وأفادوني بأنهم لا يستطيعون تسجيله على الرغم من أهميته. خاطبت جامعة بوردو، حيث إن جزءاً من الأبحاث تمت في مختبراتهم إضافة إلى اتفاقية التبادل العلمي بيننا، وبالفعل وافقوا على إجراء تسجيل براءة اختراع لهذا المركب. طلبوا ملفاً كاملاً يحتوي على تفاصيل هذا النبات ابتداء من تاريخ جمعه وحتى الوصول إلى فصل هذا المركب الجديد، فقدمت الملف إلى مكتب براءات الاختراع في جامعة بوردو مع عينة من المركب الجديد؛ لكي يبعثوا بها إلى مختبرات معتمدة لدى مكتب تسجيل براءات الاختراع؛ للتأكد من مطابقة النتائج. بعد سنة من تقديم الملف استدعيت إلى مكتب تسجيل براءات الاختراع لمناقشة تسمية المركب الجديد.

حضرت للاجتماع، وكانت هناك لجنة كبيرة مكونة من قانونيين وعلماء في التخصص نفسه، وأفادوا بأن هذا المركب الجديد ليس له أي علاقة بأي مركب كيميائي سواء من نبات أو مشيد كيميائياً، ونظرًا لذلك، فإن لي الحق في تسمية هذا المركب، أما لو كان لهذا المركب علاقة في صيغته الكيميائية بأي مركب آخر حتى لو كانت علاقة جزئية، فإن المركب يسمى باسم النبات الذي فصل منه هذا المركب. لم أتردد في أن يحمل هذا المركب اسم وطني الغالي (سعودين) وبعد ثلاث سنوات حصلت على براءة الاختراع لهذا المركب من مكتب براءات الاختراعات الأمريكي عام 1988م.

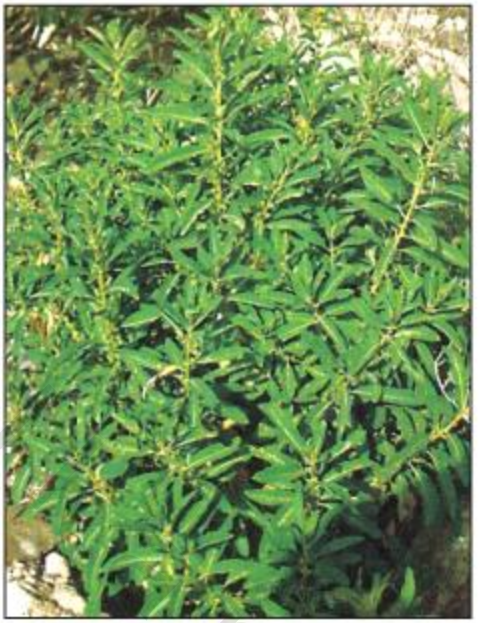

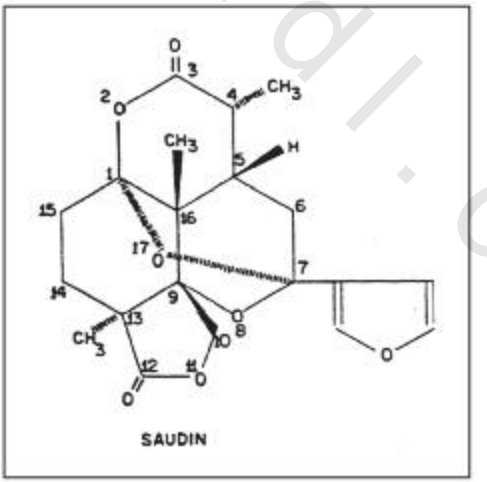

صيغة مركب سعودين وصورة النبات المفصول منه.

بعد حصولي على براءة الاختراع طلبت من جامعة الملك سعود الموافقة على تشييد هذا المركب كيميائيّاً حيث إن النبات المفصول منه هذا المركب ينمو في المناطق المحصورة الباردة في المملكة، ولكي يستخدم بشكل تجاري لعلاج مرض السكري لا بد من الحصول على مصدر ثابت من هذا المركب، والمصدر الوحيد هو تشييده كيميائيّاً لأن الصيغة الكيميائية معروفة، أفادت الجامعة بأن أخاطب الشركات أو الجامعات العالمية لمعرفة تكلفة التشييد وإفادة الجامعة، آنذاك لم يكن باستطاعة الجامعات لدينا تشييد هذا المركب كيميائيّاً، راسلت شركة جونسون في بلجيكا، وهي من الشركات الدوائية الكبيرة، وكان ردهم بأن في استطاعتهم تشييده في مدة لا تقل عن عشر سنوات وبتكلفة 12 مليون ريال سعودي، قدمت هذا العرض للجامعة، فرفضوا حينها بحجة أن المبلغ ضخم.

راسلت جامعة شمال الينوي في الولايات المتحدة الأمريكية عن إمكانية تشييده كيميائيّاً ومدة التشييد وتكلفته، فأفادوني بأن مدة التشييد 10 سنوات وبتكلفة 5 ملايين دولار، وقدمت هذا العرض للجامعة، وتم الاعتذار بحجة عدم توافر ميزانية لهذا الإجراء.

بعد عشر سنوات وصلني خطاب من جامعة بنسلفينيا يطلبون فيه عينة من مركب سعودين وسألتهم عن السبب فقالوا: إن هناك طالب دراسات عليا كانت رسالته في البحث هي تشييد المركب كيميائيّاً في المختبر للحصول على درجة الدكتوراه، وقد وصل هذا الطالب إلى

نصف مرحلة التشييد، وتم منحه درجة الدكتوراه في هذا البحث، ثم قام طالب آخر بالعمل في رسالته للحصول على الدكتوراه بالمواصلة في تشييد هذا المركب كيميائيًا، وبالفعل أنهى تشييد مركب سعودين بالصيغة الكيميائية نفسها، لذلك يريدون أن أبعث لهم بالعينة؛ لمقارنتها مع العينة التي توصل إليها طالبا درجة الدكتوراه لتشييد هذا المركب. أرسلت لهم العينة وبعد مضي شهر تقريباً وصلني خطاب شكر من الجامعة على العينة، وأفادوا بأنهم توصلوا إلى تشييد مركب سعودين كيميائيًا في عشر خطوات استغرقت عشر سنين.

وبطبيعة الحال لا يمكنني مطالبتهم ماديًا؛ لأن أي جهة بحثية تستطيع أن تشيد أي مركب كيميائي إذا لم يكن هناك ما ينص على ملكية التشييد، ونحن مع الأسف لم نشر إلى حق التشييد لهذا المركب في براءة الاختراع.

United States Patent [19]
Mossa

[11] **Patent Number: 4,740,521**
[45] **Date of Patent: Apr. 26, 1988**

[54] **SAUDIN, A NOVEL HYPOGLYCEMIC AGENT**

[75] Inventor: **Jaber S. Mossa**, Riyadh, Saudi Arabia

[73] Assignees: **Purdue Research Foundation**, West Lafayette, Ind.; **King Saud University**, Riyadh, Saudi Arabia

[21] Appl. No.: **823,667**

[22] Filed: **Jan. 29, 1986**

Related U.S. Application Data

[63] Continuation-in-part of Ser. No. 583,371, Feb. 21, 1984, abandoned.

[51] **Int. Cl.**⁴ A61K 31/365; C07D 493/22
[52] **U.S. Cl.** 514/453; 549/275; 549/276
[58] **Field of Search** 549/275, 276; 514/453

Primary Examiner—Jane T. Fan

[57] **ABSTRACT**

Saudin, a novel terpenoid substance having hypoglycemic properties, isolated from the plant *Clutia richardiana* L. Euphorbiaceae, and a method for lowering blood sugar by injection thereof into the body.

5 Claims, 1 Drawing Sheet

براءة الاختراع (مركب سعودين)

يُعدّ هذا الإنجاز أول اختراع سعودي في كيمياء العقاقير، وهذا المركب يُدرّس حالياً في جميع كليات الصيدلة في العالم وفي أقسام الكيمياء من غير كليات الصيدلة بصفته مركباً جديداً من الناحية الكيميائية وأول من أضافه في كتاب العقاقير الشهير الدكتور W.E. EVANS في كتابه بعنوان TREASE AND EVANS،PHARMACAGNOSY عام 1996 في الصفحة 440، وهذا الكتاب يُعدّ مقرراً لجميع كليات الصيدلة في العالم، إضافة إلى كلية الصيدلة في جامعة الملك سعود، وتم منحي وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى على هذا الاختراع، وتسلّمته من يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بتاريخ 17-8-1426هـ.

وسُجّل باسمي نباتان سعوديان هما RESIDA JABRECA وEUROPS JABRECA، حيث إنني أول من اكتشف هذين النباتين في العالم مع العلم أنهما ليسا في السعودية فقط، وإنما ينموان في بلدان أخرى من العالم، ولكني كنت السبّاق إلى اكتشاف هذين النباتين. اكتشفت هذين النباتين عندما كنا نذهب لجمع النباتات من مختلف مناطق المملكة، حيث كنا نتوزع أنا وزملائي في أنحاء المملكة، وكان يُفضّل أن تكون المجموعة التي يترأسها أستاذ العقاقير أن تذهب إلى المنطقة التي يعرف جغرافيتها جيداً، ومنطقة عسير أعرفها جيداً سهولاً وجبالاً ووديانا، وعليه فقد كنت أرأس المجموعة التي تذهب إلى منطقة عسير، وأقوم بتوجيه الفريق بجمع النباتات الغريبة، وعند عودتنا إلى كلية الصيدلة يقوم

مُصنّف معشبة الكلية بالتعرف إلى النباتات التي جمعناها، وحاول التعرف إلى هذين النباتين إلا أنه لم يستطع على الرغم من وجود الأزهار والثمار، فما كان مني إلا الذهاب إلى لندن وبرفقتي هذين النباتين بعد تصبيرهما على ألواح ورقية عليها جميع المعلومات، مثل مكان الجمع والشخص الذي جمع النبات واسم النبات الدارج في المنطقة (النبات الأول لم يكن معروفاً في المنطقة، أما الثاني فكان اسمه المحلي يبر) وكذلك تاريخ جمعه وطريقة الوصول إليه.

ذهبت إلى حديقة كيوجاردن Kew Gardens في لندن التي تُعدّ أكبر حديقة نباتات في العالم، ويوجد بها علماء التصنيف، حيث تأتيهم طلبات من جميع أنحاء العالم للتصنيف، والتقيت مصنفًا مشهورًا طلب مني بعض المعلومات عن مواقع تلك النباتات، ثم طلب مني أن أتركها لديه، وأن أراجعه بعد أسبوع، وعند مراجعتي له وجدته قد صنفها ومنحها الأسماء التي ذكرتها، وهي لاتينية وهو الاسم الثنائي للنبات، فعلى سبيل المثال RESEDA JABRECA فالاسم الأول يدل على جنس النبات أي الأب والاسم الثاني هو النوع الذي يكون باسم مكتشفه.

وتم تسجيل النباتين في مجموعة النباتات المكتشفة الجديدة في حديقة كيوجاردن، ووضع اسم البلد الذي اكتشف فيه النبات، وأرفقت بعض البذور للنباتين مكبوسة في لوحة النباتات، وسألني إذا كان بإمكانهم زراعتها في الحديقة، بحيث يُكتب عليها في حال نموها اسمها العلمي واسم السعودية، وافقت وتمت زراعتها،

ونبتت بشـكل جيد، وعند زيارتي للحديقة بعد ثلاث سنوات وجدت النباتين ووضـع عليهما اسـمي واسـم موطنهما، وبإمكان أي زائر لهذه الحديقة العالمية مشاهدة هذين النباتين السعوديين واللذين ضُمّا إلى النباتات المكتشفة في العالم.

نبات الجبر (البير) المسجل باسمي.

نبات ذنبان المسجل باسمي.

في حديقة تشيلسي للنباتات الطبية في لندن عام 2011م.

في حديقة كيوجاردن للنباتات الطبية بلندن عام 2011م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

نحن عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية

نمنح

الدكتور/ جابر بن سالم بن موسى القحطاني

رئيس قسم العقاقير بكلية الصيدلة جامعة الملك سعود

وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى

فيحق له اعتبارا من هذا التاريخ أن يتقلد هذا الوسام وأن يتمتع بجميع الحقوق ومزاياه التكريمية العائدة له.

صدرة في ١٤٢٦/٨/١٧هـ الموافق ٢٠٠٥/٩/٢١م

بأمر جلالة الأمر العزيز الشريف

حفظه الله ورعاه

رئيس مراسم الملكية

وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى الذي منحته عام 2005م/1426هـ.

لحظة تسلّمي الوسام من يد خادم الحرمين الشريفين عام 2005م.

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يسلمني شهادة التميز العلمي في جامعة الملك سعود بحضور مدير الجامعة آنذاك الدكتور عبدالله العثمان عام 2007م.

تدريب طلاب السنة النهائية في مصانع الأدوية العالمية

اعتادت كلية الصيدلة في نهاية كل سنة إرسال طلبة السنة النهائية إلى إحدى شركات الأدوية العالمية.

كانت الرحلة الأولى تدريب طلاب السنة النهائية لطلاب كلية الصيدلة في مصانع إبجون الدوائية في مدينة كالامازو بولاية ميتشيجن الأمريكية.

في هذه الرحلة كان عدد الطلاب ستة عشر طالباً، وتم ترشيحي أنا والدكتور عبدالله البدر للإشراف على هذه الرحلة.

صورة جماعية مع الطلاب أمام شركة إبجون الأمريكية لصناعة الأدوية عام 1982م.

لقد كان الهدف من التدريب هو أن يتعرف الطلبة إلى طرق تصنيع الأدوية، مثل كيفية كبس الأقراص واختبارها واختبارات ذوبان الأقراص في المذيبات والرقابة على الأقراص من حيث حركيتها في جسم الإنسان وأيضاً طريقة تعبئة الأقراص بعبواتها المختلفة وإضافة ورقة التعليمات وكذلك تحضير الدواء السائل، حيث يمر بكثير من المعايير وأيضاً طرق تصنيع القطرات بمختلف أنواعها. كنا نقسم الطلاب إلى مجموعتين من أجل كسب الوقت (كانت الرحلة تستغرق 15 يوماً) بحيث تمر كلتا المجموعتين على كل تفاصيل الصناعة الدوائية. بعد ذلك نقوم بإعداد التقارير عن كامل تفاصيل الرحلة، وأيضاً المصنع يُعدّ تقريراً عن هذه الزيارة، وفي نهاية الرحلة يكون هناك حفل مبسط تعده الشركة، وأيضاً حفل آخر تُعدّه كلية الصيدلة.

تدريب طلاب السنة النهائية لطلاب كلية الصيدلة في مصانع جونسون في بلجيكا وشركة بيتشام في المملكة المتحدة.

كان عدد الطلاب في هذه الرحلة 13 طالباً ومشرفي الشركتين في الرياض ومشرفين من الكلية تم ترشيحهما هما الدكتور صالح باوزير وأنا.

كان التدريب في هذه الرحلة يشمل الشركتين، حيث كل شركة تتميز بأدوية مختلفة تماماً عن الشركة الأخرى، حيث تهتم شركة جونسون آند جونسون بأنواع الأدوية المختلفة، أما شركة بيتشام البريطانية فكان اهتمامها بالمضادات الحيوية.

صورة جماعية مع الطلاب أمام شركة بيتشام البريطانية لصناعة الأدوية عام 1984م.

كانت الخطة أن يتم تدريب الطلاب في بلجيكا أسبوعاً كاملاً حيث كان التدريب مطابقاً للرحلة السابقة التي كانت في أمريكا، أما في بريطانيا فكان الأمر مختلفاً قليلاً بسبب أن التصنيع يختلف إلى حد كبير، حيث إن هناك عناصر إضافية في عملية التصنيع مثل عمليات التخمر التي تدخل في عملية تحضير مشتقات البنسلين، وكذلك تدرب الطلاب على طريقة التجهيز والرقابة والحركة الدوائية للبنسلين ومشتقاته، وكذلك التأكد من جودة المستحضرات وخلوها من المواد الغريبة.

في نهاية التدريب أقامت الشركة حفل توديع للفريق الزائر، وكذلك المشرفون أقاموا حفلاً مصغراً للمسؤولين في الشركة، وقامت الشركة بكتابة تقرير عن الرحلة، وكتبنا تقريراً عن هذه الزيارة للشركتين.

المشروعات البحثية التي عملت بها في كلية الصيدلة

أول رحلة علمية لجمع النباتات الطبية في الخرج عام 1977م.

المشروع الأول:

مشروع بعنوان: «التقويم الكيميائي والحيوي للنباتات السعودية» الذي دعمته مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وقد كان فريق البحث في هذا المشروع مكونًا من الدكتور محمد ابن عبدالعزيز اليحيى، والدكتور إبراهيم بن عبدالرحمن المشعل، والدكتور جابر بن سالم القحطاني، والدكتور عبدالله بن عبدالعزيز البدر، والدكتور محمد طارق. وفي هذا المشروع أخضع الباحثون

مئة وخمسين نباتاً من نباتات المملكة التي جمعت من مختلف المناطق والتي تم التعرف إليها علمياً بغرض البحث العلمي من خلال جمع المعلومات المكتبية عن هذه النباتات، ثم إجراء الدراسات الكيميائية العقاقيرية عليها، ثم عمل مسح دوائي عليها وإجراء دراسات مخبرية لمعرفة فعالية هذه النباتات ضد الجراثيم، وكذلك تحديد السمية، وتحليل النتائج واستنباط المعلومات المفيدة. وقد نتج عن هذا المشروع ظهور كتاب باللغة الإنجليزية عن هذه النباتات طبعته مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، ونشرته بتاريخ 1990م تحت عنوان: «SAUDI PLANTS A Phytochemical & Biological Approach».

المشروع الثاني:

مشروع وطني كبير تحت اسم: «دراسة إيجابيات وسلبيات الطب الشعبي السعودي». وهو مشروع وطني اقترحه معالي وزير الصحة الدكتور غازي القصيبي رحمه الله على مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية لدعم بحث مشروع وطني عن الطب الشعبي، حيث كان الناس في تلك الفترة يتحدثون كثيراً عن مشكلات كثيرة في استعمال الأدوية العشبية والمشتقات الحيوانية والمعدنية والعلاج بالكي والحجامة، والتجبير، والعلاجات النفسية والشعوذة وخلاف ذلك. طلبت مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية عندما كان رئيسها الدكتور رضا عبيد من كلية الصيدلة تقديم مشروع عن

دراسة محاسن الطب الشعبي في المملكة العربية السعودية ومساوئه. وتقدمت كلية الصيدلة بمشروع لدراسة جميع الوصفات الشعبية التي يستخدمها الناس والتي يصرفها المعالجون الشعبيون والعطارون، وكذلك الوصفات التي يتعامل معها البدو الرحل والرعاة، وكذلك العلاج بالكي والحجامة والتجبير، وطرق العلاج النفسي والروحاني والشعوذة وطرق الختان في المملكة، وخلاف ذلك.

اشترك في المشروع الوطني نحو اثني عشر عضواً من كلية الصيدلة يتلخص عملهم في دراسة الوصفات العشبية سواءً المفردة أم المركبة، وكذلك المشتقات الحيوانية والمواد المعدنية، وكذلك فريق من كلية الطب بجامعة الملك سعود ومستشفى القوات المسلحة، حيث يقومون بدراسة الحجامة والكي والتجبير والختان والأمراض النفسية، وخلاف ذلك.

أخذت هذه الصورة عام 1978 في موقع مليء بالنباتات الطبية بعسير.

مع شقيقي علي في وادي بيض لجمع نبات الصرح عام 1980م.

زيارة الدكتور عبدالله الفيصل مدير الجامعة آنذاك لمتحف
قسم العقاقير بكلية الصيدلة عام 2004م.

كان مشـروعا كبيـراً ونفذ فـي فترة زمنية قدرها 5 سـنوات. وقد تم جمع نحو 3000 وصـفة عشـبية وحيوانية ومعدنية وأخضعت للعمل المخبري، وقام فريق البحث من كلية الصـيدلة بمسح شامل لكل المعالجين الشـعبيين والعطارين والبدو الرحل والرعاة وجمع مـا لديهم من وصـفات يسـتخدمونها لعـلاج أمراضـهم وأمراض مواشيهم من جميع مناطق المملكة.

المشروع الثالث:

مشروع القضاء على نبات الداتورة والنباتات ذات العلاقة في المملكـة، حيث توفي رجل مقيم في مدينة بريدة بالقصـيم؛ نظراً لاسـتخدامه جرعة عالية من بذور نبات الداتورة من نوع إينوكسيا الـذي ينمو في القصـيم بكثرة، حيث اعتاد هـذا المقيم في بلاده اسـتخدام نوع آخر من الجنس نفسه يشابه هذا النوع بوصفه مادة مهلوسة. ويُعدّ نبات الداتورة من النباتات المهلوسة ويصنفه بعض العلماء مـن النباتات المخـدرة. طلبت إمارة القصـيم آنذاك من إدارة الشـؤون الصحية في القصـيم الرفع لوزارة الصحة لدراسة هذه النباتات الخطيرة على المواطن والمقيم، علماً بأن المواطنين يعرفون أنها نباتات مهلوسـة، ولكنهم لا يستخدمونها بأي حال من الأحوال، ولم يسبق أن حدثت أي حالة وفاة منها.

طلبت وزارة الصحة في ذلك الوقت من كلية الصيدلة بجامعة الملك سـعود التقدم بمشـروع للقضـاء على هذا النبات وغيره من

النباتات السامة ذات العلاقة. تقدمت كلية الصيدلة بمشروع سمي: «مشروع القضاء على نبات الداتورة وغيره من النباتات ذات العلاقة» وكنت حينها عميداً لكلية الصيدلة، وكنت رئيساً للمشروع، وكان معي في المشروع كلٌ من الدكتور إبراهيم المشعل والدكتور محمد اليحيى والدكتور منصور سليمان السعيد، وجميعنا من قسم العقاقير.

وأشركنا معنا في المشروع عضواً من الإدارة العامة لمكافحة المخدرات وعضواً من وزارة الزراعة وعضوًا من المختبرات بوزارة الصحة. وافقت وزارة الصحة على المشروع، وبدأنا في تنفيذه، كانت مدة تنفيذ المشروع ثلاث سنوات. ولقد استعان الفريق بعدد من المعيدين والفنيين. بدأنا العمل في منطقة الرياض والقصيم أولاً، حيث يوجد نوع واحد من نبات الداتورة هو إينوكسيا.

ثم شكلنا فرقاً للذهاب إلى مختلف مناطق المملكة. كان يوجد في منطقة الحقو بجازان نوع نادر من الداتورة وهو فيروكسي، وكنت من قام بمسح هذه المنطقة، وكانت الساعة العاشرة صباحاً عندما وصلت إلى هذه المنطقة، وبالأخص في واد مليء بنباتات الدوم والغلثي وداتورة فيروكسي ولكن بقلة جدّاً. كنت أتجول في هذا الوادي من أجل البحث عن هذا النوع من النباتات، فإذا بي أفاجأ بثعابين عدة من الأنواع الجرسية، وكنت في الحقيقة أسمع ما يشبه الأجراس لكن ما لم أكن أتوقعه أن هذه الأجراس، هي للثعابين الجرسية، عندما شاهدت هذه الثعابين السميكة والقصيرة التي تهز ذيلها، ولّيت هارباً، وأنا ألتفت بين رجلي نظراً لكثرتها، وتُعدّ من أخطر الثعابين السامة.

فريق جمع نبات الداتورة في عسير.

جمع نبات الداتورة في بلاد زهران.

حرق النباتات السامة في مشروع القضاء على نبات الداتورة والنباتات ذات العلاقة.

وفي منطقة عسير كان هناك نوعان من الداتورة هما سترامنيوم وإينوكسيا، وفي أحد الأيام كنا نجمع هذين النباتين من حقل كان مليئاً بهما، وبعد أن انتهينا من جمع هذين النباتين لاحظت أعين فريق الجمع قد اتسعت بشكل ملحوظ، فذهبت بهم إلى مرآة السيارة، وقلت: انظروا إلى المرآة، فلما نظروا إلى المرآة، فزعوا كثيراً عندما رأوا أعينهم واسعة وأصابهم الهلع، عندها طمأنتهم، وقلت: سوف تعود أعينكم إلى طبيعتها بعد ربع ساعة.

وسبب اتساع حدقات أعينهم بهذا الشكل المخيف هو أن أوراق نبات الداتورة وأفرعه الغضة تخرج منها عصارة مائية من جراء الجمع، هذه العصارة يتطاير منها ما يشبه البخار الذي يحتوي على مركب الأتروبين الذي له خاصية توسيع العين والذي يستخدمه

أطبـاء العيـون بهـدف توسـيع حدقة العيـن، حيث يضـعون قطرة واحدة، ثم يطلبون من المريض الانتظار ربع سـاعة، ثم يفحصون عينـه، حيث يسـتطيع الطبيب رؤية حدقة العين بشـكل كامل. وفي وادي الدرب، وبينما كان أحد الفنيين الذي كان يصحبني في جمع نبات الداتـورة يجمع النبات التوى على رجله ثعبان كبير، كاد يُجنّ إلا أنه لحسـن حظه كان يرتدي حذاء سميكًا من الجلد، ولذلك لم يستطع الثعبان لدغه، ومر ذلك اليوم على خير.

في تبـوك، حيث كان أحد الزملاء في مشـروع القضـاء على نبـات الداتورة، الذي كان مسـؤولاً عن هذه المنطقة للقضـاء على نبات السـيكران، وهو نوع آخر من غير جنـس الداتورة ينمو بكثرة في تبوك، وكان يسـاء اسـتخدامه من البعض حيث إنه يشبه نبات الداتورة في تأثيره المهلوس، وبينما هو يجمع النبات لسعته عقرب، ولكن لحسـن حظه كانت من النوع الأسود الكبير قليل السم، وليس من النوع الأحمر أو الأصفر شديد السمية.

المشروع الرابع:

اتفاقية جامعة الملك سعود مع جامعة بوردو في مدينة لافيات بولايـة إنديانـا. حيث عقـدت جامعة الملك سـعود ممثلـة في كلية الصـيدلة اتفاقية بحث لمدة خمس سنوات مع جامعة بوردو بولاية إنديانا، وكانت الاتفاقية تتعلق بسـفر بعض أعضـاء هيئة التدريس بكلية الصـيدلة إلى جامعة بوردو بهدف البحث العلمي والعمل على

بعض النباتات الطبية السعودية والاستفادة القصوى من التقنيات الحديثة في أمريكا، وكذلك حضور بعض أعضاء هيئة التدريس من كلية الصيدلة بجامعة بوردو؛ لإلقاء محاضرات وتجهيز بعض المختبرات بالأجهزة الحديثة في المملكة، وكنا نسافر طوال فترة الاتفاقية شهرين سنوياً.

المشروع الخامس:

مشروع حول الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية، حيث طلبت إحدى دور النشر من جامعة الملك سعود وهيئة الحياة الفطرية المشاركة في تنفيذ هذه الموسوعة المتكونة من اثني عشر مجلداً، وهي عن الحياة الفطرية، والحرف المهنية، والطرق القديمة في الزراعة، والطرق السكنية القديمة، والطب والعطارة، وخلاف ذلك. وكنت الباحث الرئيس في المجلد الحادي عشر بعنوان «الطب والعطارة في المملكة العربية السعودية».

ويشمل هذا المجلد كل الوصفات والخلطات العشبية والحيوانية والمعدنية التي تستخدم في علاج الأمراض، وكذلك نباتات الزينة التي تستخدم في الزواج والأعياد والمناسبات وطرق علاج أنواع المواشي بالأدوية العشبية وطرق الكي، والحجامة، والتجبير، وطرق الختان، وخلاف ذلك. وقد قمت أنا وزملائي بمقابلة المعالجين الشعبيين والمعالجات والعطارين، وقسّمنا المعالجين والمعالجات بحسب تخصصاتهم إلى متميزين، وغير

متميزين وكذلك فعلنا الشيء نفسه بالنسبة إلى العطارين. ثم حاولنا الحصول على السيرة الذاتية لكل المتميزين من المعالجين الشعبيين والمعالجات وكذلك العطارين.

من الطرائف التي قابلتنا في هذا المشروع، أنه كان هناك معالج شهير في المدينة المنورة، زرناه في عيادته المكونة من دور واحد، وكذلك بقالة خاصة به. يوجد أمام البيت ساحة كبيرة، وجدنا أن المرضى الذين يأتون من أماكن بعيدة يخيمون في تلك الساحة؛ نظراً لازدحام المرضى على هذا المعالج. وكان يدخل هذا المعالج على غرفة كبيرة مرصوصة بالمرضى، وعندما يدخل عليهم ينفث على كل واحد، ويقرأ عليهم رقية جماعية، ثم يقول لكل واحد منهم: اذهب إلى البقالة خارج المنزل، واشترِ جالون ماء، وجالون زيت، ثم يمر عليهم واحداً تلو الآخر ليضعوا في جيوبه الواسعة نقود الزيارة، ثم يخرجون إلى البقالة.

أما الأشخاص الذين يوجد لديهم مس فيقوم ببطحهم على بطونهم، ويضع رجله على رقابهم، ويقوم بضربهم حتى يقول المريض بلسانه: سوف أخرج منه، ثم يقول المعالج للجني: اخرج من الإبهام، ثم يقوم بشرط الإبهام بسكين، ويخرج الدم، ويقول لأهل المريض: أبشركم خرج الجني من المريض، ثم يسحب أهل المريض مريضهم، وهو لا يستطيع الحراك من شدة الضرب. ولاحظنا أن هناك امرأة عجوزاً أحضرها ابناها إلى المعالج، وقبل دخولهم إلى المعالج سألناهما عن نوع مرضها؟ فقالا: إنها تخاف

وتتوحش، وسألناهم عن عمرها؟ فقالا: سبعين سنة. دخلا مع أمهما إلى المعالج وبعد نحو ربع ساعة سمعنا من الخارج صراخ المرأة بأعلى صوتها، وسمعنا المعالج يقول: اخرج يا شيطان. ثم بعد نحو 10 دقائق خرجا وواحد يحملها من رأسها والآخر يحملها من قدميها وهي مغمى عليها، تقدمنا لهما، وسألناهما: ماذا حدث؟ فقالا: «هذا مشعوذ مئة في المئة، حيث ضرب والدتنا حتى أغمي عليها، وقال لنا: أبشركما بأن الجني قد خرج، فسألناهما: كم أخذ منكم مقابل ضربها ومقابل خروجها مغمى عليها، فقالا: 5000 ريال.

قابلنا معالجاً آخر في المدينة أصله إفريقي، يستخدم كاسات الهواء نوعًا من الحجامة، ويستعمل بعض الأربطة التي يربطها في أذرع بعض المرضى، الشيء الذي حدث لا ننساه، حيث أحضر مبخرة مليئة بالبخور، وقال لبعض مرضاه: شموا هذا البخور، فشموه، وبعد لحظات بدؤوا يعطسون، ويديرون رؤوسهم يمنة ويسرة، لكن الشيء الجديد أننا بدأنا نحن نهلوس، وبعدها خرجنا هاربين.

في بيشة ذهبت إلى بائعي الأعشاب في أحد الأسواق الشعبية، وفي أثناء تجولي في هذا المكان لاحظت امرأة في منتصف العمر تقريباً تبيع بعض الأعشاب، فذهبت إليها، وسألتها عن الأعشاب التي تبيعها والأمراض التي تعالجها؟ وعندما نظرت إلى وجهها شعرت بالخوف الشديد، حيث إن المرأة شديدة السواد إلا أن

عينيها شديدتا الاخضرار، ولم أَرَ في حياتي منظراً بهذا الشكل. قالت لي: أنت فلان؟ فقلت لها: من فلان؟، فقالت: فلان حق المدينة (وهي تقصد المعالج الشهير الذي في المدينة). قلت لها: لست هو، فقالت: بلى، أنت هو، ثم قالت: سأعطيك من بخوري وأنت أعطني سر زيتك الذي تعطيه لمرضاك، فقلت لها: ألم أقل لك: إنني لست هو. وفررت وهي تناديني: تعالَ تعالَ.

ذهبت إلى عطار يقع دكانه قريباً من الفندق الذي أقطن فيه، وهو رجل كبير في السن. ابتعت منه بعض مواد العطارة، ثم سألني قائلاً: هل أشتريت أعشابًا من امرأة اسمها حضية سوداء اللون، فقلت: قابلتها وحاولت أن تبيعني ما تسميه أعشاب البخور، ولكني رفضت، فقال: «الحمد لله» يا ابني، أنك لم تشترِ تلك الأعشاب، حيث إنها تزيغ المخ وبعض من استعملها هلوس وفقد الذاكرة.

وفيما يخص موضوع الختان فقد حدثت مشكلة لمجموعة من الشباب الذين ختنهم أهلهم في منطقة الحقو بجازان، حيث كان من عادات الختان ألا يختنوهم إلا إذا بلغ الشاب 15 عاماً فما فوق، وعادة يجمعون الشباب الذين في مثل هذا العمر، ثم يقيمون موسماً للختان الذي يسمونه الهود. حيث يحضر هذا الموسم أقارب الختناء من كل مكان، ويقدمون لأهالي الشباب الذين سيختنونهم الخراف والأبقار وحتى الجمال هدايا. كانت العادة أنه بعد ختان الشباب يخصصون لهم غرفة كبيرة، ويوجد من يخدمهم، كان ختانهم هو السلخ من السر إلى الركبة، فكان

هؤلاء المختونـون ينامون على ظهورهم في تلك الغرفة، ونظراً لأن المنطقة حارة وخاصـة في الصيف الذي يكون فيه موسم الختان، فقد كانوا يتركـون باب الغرفة مفتوحاً لدخول تيار من الهواء. وفي إحـدى الليالي دخل عدد من الماعز هـذه الغرفة، كانت هاربة من كلب يطاردها، فدهسـت بأظلاف أرجلها على بطون المختونين ما جعلهـا تغوص في بطونهـم، وتوفوا جميعاً في تلـك الليلة من جراء هذه الطريقة في الختان.

المشروع السادس:

مشروع التوابل وتأثيرها في قرح القناة الهضمية، هذا المشروع الـذي يرأسـه الدكتور إبراهيـم المفلح أسـتاذ قسـم الباطنة في مستشفى الملك خالد الجامعي، والدكتور جابر بن سالم القحطاني، والدكتور محمد السـحيباني من قسـم الأمراض بمستشفى الملك خالد الجامعي عضواً، والدكتور عبدالقادر عبدالرحمن الحيدر من قسـم علم الأدوية بكلية الصيدلة عضـواً، والدكتور سيد رفعة الله الباحث في مركز البحوث بكلية الصيدلة عضواً، كان مدعوماً من مدينة الملـك عبدالعزيز للعلوم والتقنية، وقد كان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة تأثير 20 نوعاً من البهارات التي تستخدم محليّاً مـع الأكل في تقرحـات المعدة والاثني عشـر والقولون، وما أشـبه ذلـك ومعرفة الجرعات المؤثرة في شـفاء بعض هـذه التقرحات، وكذلـك معرفـة تأثيرهـا الطبي في بعض الأمراض التي تصـيب

الإنسان. لقد اتضح من الدراسة أن الناس كانوا يستخدمون الحبة السوداء بطريقة خاطئة، حيث كانوا يستخدمون جرعات كبيرة، ولقد وجد أن الجرعة المؤثرة من الحبة السوداء بوصفها علاجاً للقرح وعلاجاً للربو ولتقوية الجهاز المناعي كانت في حدود سبع حبات فقط، وأن تؤخذ هذه السبع حبات مرة واحدة في اليوم بعد الاستيقاظ من النوم، وأن تمضغ بوضعها على ملء ملعقة عسل. ووجد أن الادعاءات التي كان الناس يخشونها من الهيل والقرنفل والفلفل الأسود ادعاءات ليس لها أساس من الصحة، وذلك بعدما تمت تجربة الجرعات على حيوانات التجارب.

اخذت هذه الصورة في عيون ليلى بالأفلاج عام 1983م
حيث كنا متوجهين إلى مدينة الفاو التاريخية.

لقد نشرنا عدداً من الأبحاث في مجلات عالمية علمية محكمة، وألقينا محاضرات في مؤتمرات عالمية عن تأثير البهارات في تقرحات الجهاز الهضمي والأمراض الأخرى. وكان دوري في هذا المشروع هو تجهيز خلاصات من هذه البهارات، ثم تجربتها على حيوانات التجارب التي تعطى مواد تحدث التقرحات الهضمية فيها، ثم تصوير التقرحات بعد إعطاء الحيوانات هذه الخلاصات بتركيزات مختلفة؛ لكي نعرف التأثير والجرعة المحددة للشفاء من هذه التقرحات، وكذلك الجرعات التي تزيد من هذه التقرحات، وتكون سبباً في عدم شفائها.

obeikandl.com

بعض الصعوبات التي واجهتنا خلال رحلات المشروعات البحثية

الرحلة الأولى:

في شرورة والعبيلة وشوالة، حيث كان هناك مشروع وطني للطب الشعبي السعودي الذي دعمته مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية. وكان هناك 12 عضواً من كلية الصيدلة يقومون بجمع الوصفات العشبية التي تباع لدى العطارين والمعالجين الشعبيين والبدو الرحل والرعاة، وخلاف ذلك. كنا نذهب في فرق لمسح جميع مناطق المملكة. وعندما بدأنا نتحدث عن مدينة شرورة والعبيلة وشوالة رفض أعضاء الفريق الذهاب إلى تلك المناطق النائية.

كنت الوحيد الذي استعد للذهاب إلى تلك المناطق، حيث كانت لدي الرغبة في أن أزور أي منطقة من مناطق المملكة؛ لأتعلم مصطلحات الأمراض لديهم، ولأعرف الوصفات التي يستخدمونها لعلاج أمراضهم وأمراض مواشيهم وأسماء الوصفات التي يستعملونها. وكنت مولعاً بتعلم هذه الأشياء. سافرت إلى شرورة والعبيلة وشوالة.

زودتني إدارة الكلية بخطاب إلى محافظ شرورة، سافرت إلى شرورة عن طريق نجران، وتوجهت مباشرة إلى الأستاذ جاسر الشهري محافظ شرورة في ذلك الوقت، حيث استضافني

في المحافظة، وقدم لي كل ما أحتاج إليه من خدمات وأمر لي بسائق ومعه سيارة رباعية الدفع، وأن يكون تحت تصرفي طوال الوقت. وكان لهذا السائق خبرة كبيرة في صحاري هذه المناطق. وقد قابلت جميع العطارين والمعالجين الشعبيين في المنطقة، وحصلت منهم على الوصفات الشعبية وأسمائها، وكذلك على أنواع الأمراض المنتشرة في بيئتهم، وكذلك على أسمائها لديهم. وقابلت البدو الرحل والرعاة، وعرفت منهم الوصفات التي يستخدمونها لعلاج أمراضهم من نباتات البيئة، وليست من المستوردة. وعرفت منهم نباتات تستخدم لعلاج مواشيهم، وخاصة الإبل والأغنام، حيث لا يهتمون بالأبقار.

أخذني السائق في صباح أحد الأيام إلى الصحراء ليريني بعض نباتات البيئة التي تستخدم في علاج الأمراض بالنسبة إلى الإنسان والحيوان. وعندما كنا نتجول عبر كثبان الرمال التي لا أرى فيها إلا السماء وبحراً من الرمال انتابني خوف شديد؛ لأنني لا أرى أثراً للطريق سواءً للسيارات أم للجمال أم الإنسان، وأن الرياح تجرف الرمال، وتخفي في دقائق آثار مشي الجمال إن كان هناك أثر لها. ووجدت بعض النباتات القليلة جدّاً، ولكنها كانت مهمة في أثرها في علاج بعض أمراض الإنسان أو الجمال. كنت أسأل السائق: كيف تعرف طريق العودة؛ لأنه لا يوجد طريق واضح؟ فقال: لا تخف لدي خبرة في هذه الرمال. ثم اتجه غرباً، فقلت له: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: يوجد بدو على بعد نحو 2 كيلو متر أعرفهم

دعنا نذهب إليهم، ونرتاح قليلاً من عناء عملنا في هذا اليوم، ونشرب من قهوتهم، وذهبنا وأنا أدعو الله أن يعيدنا سالمين إلى شرورة، وبعد نحو 5 دقائق وصلنا إلى هؤلاء البدو الذين يسكنون في بيت من الشعر وبجوارهم أغنامهم وجمالهم وبراميل مملوءة بالماء وبالات من الأعلاف، حيث يطعمون جمالهم وأغنامهم من هذه الأعلاف؛ لأنه لا يوجد أي أثر للمرعى في تلك المنطقة.

شربنا قهوة مثل ما يقولون فنجان واحد يركد الرأس، ثم استأذنا، ورجعنا إلى شرورة ولم نَرَ في طريقنا أي أثر، حتى أثر سيارتنا قد اختفى. ووصلنا شرورة وأنا لا أصدق أننا وصلنا. وبعد استراحة يوم، ذهبنا إلى العبيلة بالسيارة وفي طريقنا، سألت السائق: هل هناك شيء يختلف عن شرورة؟ فقال: العبيلة وشوالة مشابهتان لشرورة. ونظراً لخشيتي الضياع في الصحراء قررت العودة والاكتفاء بما وجدناه في شرورة.

ذكر لي السائق أن هناك نباتاً يسمى المدركة لا يوجد بيت في شرورة إلا ويحتفظ بكمية منه، حيث يستخدمونه على نطاق واسع ضد مشكلات الهضم، وكذلك مخفضاً للسكر. ونظراً لاهتمامهم بذلك النبات، وهو عبارة عن أشجار كبيرة تنبت في سفوح جبال عالية تبعد عن شرورة ساعتين، فقد جمعت عينة من ذلك النبات بعد جهد وعناء كبيرين. من الملاحظ في شرورة أن الناس لا يذهبون إلى المستشفى، ويعتمدون على الأعشاب المحلية في علاج أمراضهم وأمراض مواشيهم.

الرحلة الثانية:

في رحلة لجمع النباتات في منطقة جازان كان معي ثلاثة من فريق جمع النباتات الطبية، وكنا في وداي بيش، وبالضبط شرق وادي بيش المليء بأنواع النباتات، والذين معي في ذلك الموقع ثلاثة من المتعاقدين، وكان زميلي الدكتور محمد عبدالعزيز اليحيى مع اثنين آخرين من المتعاقدين يجمعون النباتات في منطقة على بعد 100 متر من موقعنا. وكنت أتقدمهم وفي ممر ضيق بين أشجار كثيفة قابلنا ثعبان لم أَرَ أكبر منه في حياتي، وطوله أكثر من مترين وعرضه أعرض من عضد يدي، ولونه رملي وكان رافعاً رأسه نحو40 سم عن الأرض. كانت مفاجأة، حيث لم يكن بيني وبينه إلا أقل من متر. كان يمشي خلفي المصنف النباتي، ويدعى سلطان العابدين، وهو باكستاني وبجواره الدكتور سيد رفعة الله، وهو باحث هندي الجنسية، فعندما فوجئنا بالثعبان أغمي على الاثنين، ووقعا على الأرض، وأنا صحت بأعلى صوتي؛ لأخوف الثعبان، ففير مساره بسرعة، ودخل بين الأشجار الكثيفة. قمت بالطبطبة على خدودهما حتى أفاقا، وذهبنا إلى السيارة، ونحن في حالة يرثى لها. كان ذلك في تمام الساعة العاشرة صباحاً. وتوقفنا ذلك اليوم عن العمل، وكانا خائفين، ولم يناما تلك الليلة، حيث كانا يتخيلان ذلك الثعبان.

الدكتور توفيق الهويريني في إحدى رحلات جمع النباتات.

الرحلة الثالثة:

خلال الإجازة الصيفية، حيث أذهب أنا وأسرتي لقضاء إجازة الصيف في مدينة أبها. ولشدة حبي لجمع النباتات الطبية، ولأنني أكره الجمود والجلوس دون عمل فقد قررت في أحد الأيام أن أذهب أنا وسائقي إلى الدرب. وهو منطقة زراعية تنمو بها أعشاب فريدة من نوعها. وقبل رحلتي هذه بأسبوع كنت معزوماً لدى أخي الأكبر الذي يملك مزرعة في بيش، وعند عودتي إلى أبها لاحظت نباتات غريبة في منطقة الدرب، فقررت أن أعود لهذه المنطقة أنا والسائق؛ لكي نجمع منها عينات للتعرف إليها ولتحليلها كالعادة.

وصلت أنا والسائق، وطلبت منه أن يقوم بجمع عينة من شجرة واحدة لا تعلو كثيراً عن سطح الأرض ارتفاعها نحو متر، ولكنها منبسطة نوعاً ما، وبدأ يقطع أفرع النبات بمقص زراعي خاص بقص الأعشاب، وفجأة أغمي على السائق، وبدأ بالتشنج، وكنت أشاهده وهو يقص الأغصان، وأنا الذي أوجهه، ولم ألاحظ أي ثعبان أو عقرب قد تكون سبباً في إغمائه، وفعلاً لا يوجد شيء من ذلك، قمت بإحضار الماء، وغسلت وجهه، ولم يفق من إغماءته، ولكن لحسن الحظ كنا قريبين من الشارع العام، وأشرت للمارين وفعلاً حضر أحد المارة وقام بمساعدتي لنقله إلى السيارة لكي آخذه إلى مستشفى الدرب.

وذهبت مسرعاً إلى المستشفى وقبل وصولنا، فإذا بي أسمع صوتاً من خلفي يقول: «بابا بابا» فتوقفت ونزلت إليه، وإذا به قد فتح عينيه وهو يتصبب عرقاً، وبدأ يتكلم ويقول: بابا، أين أنا؟ قلت له: «أنت في الحفظ والصون» فسألته: هل لدغك ثعبان أو عقرب؟ فقال: «لا، بابا ما فيه». قلت له: «هل تستطيع أن تسوق؟» فقال: «لا، بابا أنا فيه خوف»، فأكملت الطريق إلى أبها.

الرحلة الرابعة:

رحلة جمع نباتات طبية في منطقة تسمى آل لحيفة قريباً من طلعة جبل صُلب الذي يؤدي إلى قرى تمنية، كنت أنا وأحد العاملين. جمعنا نباتات عدة، وبعد نحو نصف ساعة تقريباً من بداية جمعنا

بعض أعضاء فريق جمع النباتات الطبية.

للنباتات، بدأ جسمي يحكني وبقوة في جميع أجزائه، ثم ظهر على الأجزاء المكشوفة من جلدي مثل الرقبة والوجه واليدين لطخات كبيرة ذات لون قرمزي، وهي لطخ عديمة الانتظام، كشفت على صدري وبطني، فإذا جميع جسمي مليء بهذه اللطخ، وبدأت ترتفع عن مستوى الجلد، غادرنا المكان إلى مستشفى أبها؛ لأنني لا أستطيع التوقف عن الحك، وزميلي لم يحصل له أي شيء. وصلنا المستشفى وكشف علي إخصائي أمراض جلدية، وبعد الكشف قال: هل لديك حساسية من أكل معين؟، فقلت له: لا يوجد لدي حساسية من أي أكل على الإطلاق، ولكنني أشك يا دكتور، أن هذه الحساسية من أحد النباتات، حيث كنت أنا وزميلي نجمع نباتات قرب قرية تمنية، فقال: هذا ممكن، المهم صرف لي علاجاً مضاداً

للهستامين، وأخذت العلاج وبعد نصف ساعة توقفت الحكة ثم بعد ذلك أخذت اللطخ الحمراء التي كانت تعتري جسمي في الاختفاء.

بعد يومين قررت العودة إلى ذلك المكان، وكنت أعرف النباتات التي لامستها، وقصصت منها، وبدأت أقص من واحدة تلو الأخرى، وأمكث نصف ساعة بين كل قطفة لأعرف نوع الشجرة التي سببت لي ذلك، وفعلاً في الشجرة الرابعة شعرت بعد قطفها بالأعراض نفسها التي ظهرت على جسمي في المرة السابقة.

وطلبت من العامل ألا يقطف من أي شجرة، ثم طلبت منه أن يقطف من تلك الشجرة وأن يحك ذراعيه في أوراقها، وبعد أقل من نصف ساعة بدأ يحك جسمه، واكتسى جسمه باللطخ الحمراء القرمزية. وعندها عرفنا هذه الشجرة السامة التي سببت لنا هذه الحالة، وكنا قد جمعنا منها كمية كبيرة في المرة السابقة للدراسة والتحليل.

طبعاً عرفنا السبب، وتناولت قرصاً وأعطيت العامل قرصاً من مضاد الهستامين، وبعد ساعات اختفت الحكة واللطخ الحمراء من أجسامنا. لم أكن أعرف من قبل أن هناك أشجاراً سامة تسبب تلك الحساسية الشديدة للجسم، وعندما وصلنا الرياض أجرينا تحاليل لأوراق تلك الشجرة، حيث لامسناها لأجسام الفئران التي توجد لدينا في بيت الحيوان بكلية الصيدلة، وأظهرت النتائج سميتها لجلد الحيوانات، ثم حقنت كمية جديدة ومخففة من

خلاصة ذلك النبات للفئران، فتوفيت حال حقنها، وعرفنا أن تلك الشجرة سامة جدّاً. ومن خلال هذا الموقف ومواقف كثيرة مشابهة له تعرفت إلى النباتات السامة في المملكة، وجمعتها في كتاب تحت اسم (النباتات السامة في المملكة العربية السعودية – التعرف – الأعراض – التشخيص – الوقاية – العلاج) وذلك بمشاركة أ.د سوسن السيد محمد المصري عام 2005.

الدكتور عدنان الرحيلي وهو يجمع النباتات الطبية في إحدى الرحلات.

أحد الفنيين يحمل كمّاً من النباتات الطبية في إحدى الرحلات.

الرحلة الخامسة:

في المخواة، وهي تهامة منطقة الباحة غرب مدينة الباحة، حيث نزلنا إلى هذه المنطقة عن طريق عقبة المخواة. كان فريق جمع النباتات الطبية يعمل في جمع النباتات من منطقة الباحة، ثم عرجنا على المخواة، وهي تختلف تماماً عن منطقة الباحة، حيث كانت الحرارة في الباحة 18 درجة مئوية، وعندما وصلنا المخواة في تهامة كانت درجة الحرارة 45 درجة مئوية، والفرق بين المنطقتين نصف ساعة فقط بسبب أن الباحة تقع على جبال السراة، والمخواة تقع في تهامة. عندما وصلنا المخواة كان هناك وادٍ يمر بين جبال صخرية عالية تصطلي من حرارة الشمس، وتعكس ذلك على هذه المنطقة. تعمقنا في الوادي جهة الشمال،

ووجدنا أشجاراً من نوع الطلح، ولا يوجد غيرها إلا بعض الأعشاب الصغيرة، ويُعدّ ذلك الوادي جافّاً، حتى إن أشجار الطلح خالية أو عارية من الأوراق، فوجئنا بوجود مناحل كثيرة لإنتاج عسل النحل، لكن ما لم نكن نتوقعه أن النحل في هذه المناحل يتغذى على الدقيق والمشروبات الغازية والسكر، ووجدنا أواني مسطحة على هيئة صحاف مملوءة بهذه المواد التي يتغذى عليها النحل، وكان النحل بالآلاف يحوم على هذه الصحاف، ويتغذى منها.

كان الوادي خالياً من أي أزهار. وقد اختير هذا المكان لتربية النحل وإنتاج هذا العسل حيث إنهم لا يتوقعون أن يصل أحد إلى هذا المكان. وكان اعتقادهم في مكانه؛ لأنه لا أحد سيأتي إلى هذا الوادي إلا الناس الذين يبحثون عن النباتات والمعادن، ولم يدخل في خلد أصحاب المناحل أن أناساً في مثل هذا التخصص سيأتون إلى هذا الوادي.

لقد دهشنا كثيراً عندما سألنا البنغالي الذي يعتني بالنحل عن ماهية هذه الصحاف المملوءة بالمواد التي ذكرتها؟ فقال: أنا أعبئ هذه الصحاف بأمر من الرجل الذي أعمل لديه لحين أن يحضر، ويجمع الأواني المملوءة بالعسل، ثم يأخذها إلى الباحة والمناطق الأخرى ويبيعه على أنه عسل نقي 100% ومع الأسف فهو عسل لا يمت للعسل النقي بأي صلة، ويُعدّ ذلك غشّاً 100% ونحن نخشى أن المناحل الأخرى في جميع مناطق المملكة قد تكون شبيهة بمناحل المخواة. لقد ذكرني ذلك عندما جمعت 19 عينة من أنواع

العسل التي تباع في الأسواق السعودية، وأخضعتها للتحليل ووجدنا مع الأسف أنه لا يوجد عينة من التسع عشرة عينة كانت نقية، بل كانت كلها مغشوشة ونشر ذلك البحث في مجلة علمية ألمانية تسمى Phytotherapy كان ذلك التحليل قبل رحلتنا إلى المخواة بعشر سنوات. وبرحلتنا إلى المخواة اكتشفت سر غش العينات التي حللناها والتي كانت من إنتاج النحل الذي يتغذى على المشروبات الغازية والسكر والدقيق الأبيض. أعود إلى قصة وادي المخواة، تعمقنا في السير على الأقدام شمال هذا الوادي، وجدنا في نهايته منطقة بها عدد من النباتات الصغيرة المتشابكة، بدأنا بقص بعض النباتات، وإذا بأحد أفراد الفريق يصيح ويقول: الحقوني لدغت، ذهبنا مسرعين، فوجدنا ثعباناً هارباً من نوع الكوبرا أسود اللون، حاولنا إسعاف زميلنا بسرعة، حيث كان لدينا أمصال ضد الثعابين والعقارب وخلاف ذلك.

قمنا بالإجراءات اللازمة وحقنّا زميلنا بمصل الكوبرا. بعض أعضاء الفريق لحقوا بالثعبان وقتلوه. لقد كان ذلك اليوم من أصعب الأيام التي قابلتنا في رحلاتنا السابقة. عدنا مباشرة إلى مستشفى الباحة، لنتأكد من أن زميلنا على خير ما يرام، وهل يحتاج إلى أي علاجات أخرى. لقد صرفوا له بعض الأدوية بوصفها حماية. ثم غادرنا الباحة عن طريق البر إلى مدينة الرياض عن طريق الطائف.

الرحلة السادسة:

في رحلة إلى منطقة جازان، وكان الفريق مكوناً من أربعة أشخاص: اثنان من أعضاء هيئة التدريس وفنيّين، وخلال سفرنا على طريق الساحل حيث كنا مجهدين بعد يوم عمل طويل من تسلق الجبال والأماكن الوعرة، وجدنا مسجداً صغيراً، وقررنا أن نرتاح فيه قليلاً؛ لنستعيد نشاطنا ونكمل الرحلة، نام أحد الفنيين من شدة التعب وكانت أقدامه مكشوفة وكان البعوض يعم أرجاء المكان، انهال البعوض على أقدام الفني المكشوفة، وكنا نتابع حركة البعوض وهو يتحرك على قدميه، فلاحظنا شيئاً غريباً لم نشاهده أو نسمع عنه من قبل، حيث إن البعوض بمجرد لدغه قدم هذا الشخص يموت خلال ثوانٍ، ولم نشاهد بعوضة واحدة نجت من الموت عند لدغها هذا الشخص لدرجة أنه تكوم البعوض على جانبي أقدامه بشكل لا يصدقه عقل.

عندما أفاق هذا الشخص من نومه سألناه فيما إذا كان يعرف هذا الأمر وأن دمه يقتل البعوض، فأجاب بأنه لا يشعر باللدغة أساساً، وقال: لأول مرة، أعلم أن دمي قاتل للبعوض، وطلبنا منه بعد العودة إلى الرياض أن يذهب للمستشفى ويحلل دمه، حيث إن دمه؛ يحتوي على شيء لا يوجد في دماء الآخرين، لكنه بعد عودتنا لم يحلل دمه خوفاً من أن يكتشفوا في دمه شيئاً يؤثر في نفسيته كما قال، وإلى هذا الوقت لم نجد تفسيراً لهذه الحالة!

مشروع إنشاء حديقة للنباتات الطبية في منطقة عسير

مـن خلال رحلاتي العلمية لجمع عينـات من النباتات الطبية مـن مختلف مناطق المملكة لاحظت اختفاء عدد كبير من النباتات الطبية التي كنت أجمع منها عينات لغرض البحث العلمي، وقد كان اندثارها نتيجة للجمع العشـوائي من قبـل العطارين أو المعالجين الشعبيين أو الرعي الجائر واستحداث الطرق والمباني.

لقد حزنت كثيرًا؛ لأن هذه النباتات ثروة، ويجب الحفاظ عليها من الانقراض، ولكي نحافظ على هذه البيئة النباتية يجب جمع هذه النباتات الشـبه منقرضة أو المنقرضة في مكان واحد تشرف عليه جهة واحدة أو جهات عدة بهدف أن نستفيد منها في يوم من الأيام، ولا سـيما أن الأدوية العشـبية في أوج ازدهارهـا في علاج كثير من الأمراض، ومـن خلال رحلاتي أيضـاً إلى أمريـكا وأوروبا لاحظت أنهم هيؤوا مواقع خاصة لزراعة النباتات الطبية وحفظها.

فهناك على سـبيل المثال حديقة تشيلسي في لندن التي تجاوز عمرها ثلاث مئة عام، حيث تشتمل على كل النباتات الطبية وبذورها، وتُعدّ مزاراً لكل عالم أو مهتم بالنباتات الطبية من جميع العالم وتُعدّ أحد معالم لندن، وأيضاً هناك حديقة الكيوجاردن في لندن التي تُعدّ من أكبر الحدائـق في العالم، وإن هناك حديقة للنباتات الطبية في

مدريد في إسبانيا حيث تم جمع كل النباتات في إسبانيا لفترة تزيد على مئة وخمسين عاماً. وحديقة مونتريال للنباتات الطبية في كندا، وتوجد حدائق نباتات طبية في مختلف أنحاء العالم.

من هذا المنطلق، عام 2010م تقدمت بمقترح مشروع إنشاء حديقة للنباتات الطبية في المملكة العربية السعودية إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد أمير منطقة عسير الذي طلبت فيه أن يتم تخصيص أرض زراعية لتنمية النباتات الطبية من جميع أنحاء المملكة؛ للحفاظ عليها من الاندثار، وقد أيد سموه هذه الفكرة، وأحال المقترح إلى إدارة الموارد الطبيعية في وزارة الزراعة، وتم تكوين لجان لهذا الأمر، واجتمعت مع معالي وزير الزراعة الذي كان مهتمّاً بالمشروع.

خصص معاليه أرضاً في متنزه دلغان شرق أبها بمساحة مئة ألف متر مربع، وطلبت مني الوزارة تزويدهم بالمرافق الأساسية التي يجب أن تشملها الحديقة، وتم إشراك هيئة السياحة والآثار التي أبدت استعدادها لتنفيذ هذا المشروع بناء على اجتماع لجنة مكونة من وزارة الزراعة وهيئة السياحة والآثار وهيئة حماية الحياة الفطرية وإنمائها وعضو من كلية العلوم وكلية الزراعة في جامعة الملك سعود، وأنا بصفتي صاحب الفكرة.

أما عن سبب اختياري لأن تحتضن منطقة عسير هذه الحديقة فيعود إلى أن الطقس في هذه المنطقة يساعد كثيراً على

زراعـة النباتـات الطبية: لأن منطقة عسـير تحتـوي على 80% من النباتات الطبية في المملكة إضـافة إلى أن منطقة عسـير تُعدّ من أهم المناطق السياحية في المملكة.

في حديقة النباتات الطبية كيوجاردن بلندن عام 2011م.

أسرتي

عـام 1972م رزقـت بابنتـي البكـر نـدى، وقد تخرجت فـي كلية الصـيدلة، وهي تعمل حالياً مشـرفة علـى مركز المعلومـات الدوائية والسـموم في مجمع الأمـل بالرياض، ثم بعد ذلـك رزقت بابني عمرو عـام 1973م وقد تخـرج في جامعة الملك سـعود – كلية الآداب ويعمل حالياً في حقل الإعلام، ورزقت بعد ذلك بابني صخر عام 1978م، وقد حصـل على درجة الدكتوراه في طب الأسـنان الشـرعي، ويعمل حالياً أستاذاً مسـاعداً في كلية طب الأسنان بجامعة الملك سعود. ثم رزقت بابني مهند عام 1985م، ويملك مؤسسة تختص بالأعشاب الطبية.

أما زوجتي أم عمرو الإنسـانة المكافحـة فقد كانت تعمل قبل الـزواج معلمة في إحدى مدارس أبها الابتدائية، وهي من خريجات معهـد المعلمات، ثم انقطعت عـن التدريس بعـد زواجنا، وعندما عـدت من البعثـة كان لديها إرادة قويـة على الرغم من انشـغالها بمسـؤوليات المنزل، فقررت مواصلة الدراسـة الثانوية العامة عن طريـق المنـازل، وفعلاً حصـلت على الثانويـة العامـة. ثم قررت وبعزيمـة قويـة دخول جامعة الملك سـعود كلية الآداب قسـم اللغة العربية، بوصفها طالبة منتظمة، وحصلت على درجة البكالوريوس في اللغة العربية، ثم عُيِّنت مدرسة للغة العربية.

شكر وتقدير

أقدم الشكر والتقدير لوالدي رحمه الله الذي وجهني، وعلمني، وتعلمت منه الكثير، وكذلك أختي فاطمة التي أحسنت رعايتي بعد وفاة والدتي رحمها الله، حيث كانت الأخت والأم. وأشكر أخي الأكبر علي وأخي الأكبر محمد رحمه الله اللذين غمراني بحبهما ودعمهما لإكمال مسيرتي التعليمية ولأصل إلى ما وصلت إليه بعد توفيق الله.

أشكر زوجتي أم عمرو رفيقة الدرب التي بذلت كل ما في وسعها لإسعادي وتذليل الصعوبات أمامي، وكان لها دور كبير فيما وصلت إليه، فجزاها الله عني خير الجزاء.

أشكر أولادي الذين شاركوني حبهم وولاءهم لي ولوالدتهم، وأشكر المربي القدير الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله المطوع رحمه الله الذي زرع في قلبي حب الدراسة منذ صغري.

أشكر كل من أسدى إلي كلمة نصح أو توجيه أو معروف، وأشكر كذلك جميع من درست على أيديهم. أوجه الشكر أيضاً إلى جميع الزملاء طوال مسيرة حياتي وجميع من عمل معي، وعملت معه.

وأخيراً وليس آخراً أخص بالشكر الجزيل وطني الذي سهل لي الطريق للوصول إلى ما وصلت إليه.

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

للأستاذ الدكتور/ جابر بن سالم موسى القحطاني

- أ. د. جابر بن سالم موسى القحطاني.
- ولد بقرية آل علي بتمنية عام 1945م.
- حصل على درجة البكالوريوس في الصيدلة والكيمياء الصيدلية من كلية الصيدلة ـ جامعة الملك سعود عام 1386-1387هـ.
- عُين معيداً بقسم العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود 1387-1388هـ.
- حصل على درجة الدكتوراه في العقاقير الطبية من بريطانيا عام 1396هـ.
- عُين على وظيفة مدرس بقسم العقاقير ـ كلية الصيدلة بجامعة الملك سعود. عام 1396هـ.
- عُين على وظيفة أستاذ مساعد بقسم العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود عام 1397هـ.
- رُقي إلى درجة أستاذ مشارك بقسم العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود عام 1401هـ.
- رُقي إلى درجة أستاذ بقسم العقاقير بكلية الصيدلة بجامعة الملك سعود عام 1406هـ.
- وكيلاً لكلية الصيدلة مدة سنتين ابتداءً من عام 1398هـ.

obeikandl.com

- رئيساً لقسم العقاقير مدة سنتين ابتداءً من 1400هـ.
- وكيلاً لكلية الدراسات العليا بالجامعة مدة سنتين ابتداءً من 1402هـ.
- عميداً لكلية الصيدلة مدة ثلاث سنوات ابتداءً من 1403هـ.
- رئيساً لقسم العقاقير من عام 1406هـ حتى تقاعد في 1428/7/1هـ.
- مديراً لمركز أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة بالجامعة مدة سنتين ابتداءً من 1410هـ بجانب عمله رئيساً لقسم العقاقير.
- مديراً لمركز أبحاث النباتات الطبية والعطرية والسامة بالجامعة منذ 1425/4/21هـ حتى 1428/7/1هـ.
- ممثلاً لكلية الصيدلة في المجلس العلمي بالجامعة ابتداءً من 1411هـ حتى 1418هـ.
- أميناً للمجلس العلمي بالجامعة ابتداءً من 1412هـ حتى 1418هـ.
- رئيساً للجنة التعيينات بالمجلس العلمي بالجامعة ابتداءً من 1412هـ حتى 1418هـ.
- مستشاراً غير متفرغ بوزارة الصحة مدة سنتين ابتداءً من 1408هـ.
- مستشاراً غير متفرغ بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات مدة سنتين ابتداءً من 1417هـ.
- رئيساً للجنة العلمية المركزية لطب الأعشاب في المملكة ابتداءً من 1420هـ حتى 1424هـ.

- نشر 145 بحثاً باللغة الإنجليزية في مجلات علمية عالمية محكمة.
- سجل براءة اختراع برقم 4070455021 سنة 1988م بالولايات المتحدة الأمريكية.
- له نباتان عالميان مسجلان باسمه.
- حصل على مكافأة تشجيعية (علاوة سنوية) من الجامعة عام 1399هـ. وحصل على مكافأة تشجيعية (راتب شهرين) من الجامعة 1400هـ.
- حصل على مكافأة تشجيعية (علاوة سنوية) من الجامعة عند ترقيته إلى أستاذ مشارك.
- حصل على مكافأة تشجيعية (علاوة سنوية) من الجامعة عند ترقيته إلى أستاذ.
- منح جائزة الموهوبين من مؤسسة الملك عبدالعزيز للموهوبين عام 1422هـ.
- رئيساً لمشروع علمي خاص بالجامعة مدة سنتين ابتداءً من 1421/10/11هـ.
- شارك في خمسة مشروعات وطنية مدعمة من مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ووزارة الصحة.
- يُعدّ صفحة أسبوعية في جريدة الرياض عن طب الأعشاب ابتداءً من 1420هـ حتى تاريخ نشر هذا الكتاب.
- درّس أضرار المخدرات لطلاب الدراسات العليا بجامعة نايف الأمنية مدة خمس سنوات.

obeikandl.com

- يقدم برنامجاً أسبوعيّاً عن «طب الأعشاب والطب البديل» في الإخبارية السعودية منذ إنشائها وحتى 1434هـ.
- يقدم برنامجاً أسبوعيّاً عن «طب الأعشاب والطب البديل» في قناة المجد منذ 1433هـ وحتى نشر هذا الكتاب.
- درّس دورة المبتعثين التي تقيمها جامعة الإمام محمد بن سعود 3 مرات في السنة ولمدة 5 سنوات.
- عُين رئيساً للجنة تسجيل الأدوية العشبية والمستحضرات الصحية بوزارة الصحة مدة أربع سنوات.
- تقلد وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في 1426/8/12هـ.
- عُين عضواً في الهيئة الصحية الشرعية الأساسية بالمنطقة الشرقية مدة ثلاث سنوات بوصفه عضواً أساسيّاً ابتداءً من 1427/10/17هـ.
- منح ميدالية جامعة الملك سعود للتميز العلمي مع مكافأة مالية تسلّمها من يد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، عام 1428هـ.
- عُين عضواً في الهيئة الاستشارية الدائمة للمركز الوطني للطب البديل والتكاملي بوزارة الصحة ابتداءً من 1428/9/10هـ.
- عُين عضواً في اللجنة الدائمة لاتفاقية سايتس بالهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية ابتداءً من 1428/8/21هـ.

- ألقى أكثر من 120 محاضرة عن طب الأعشاب والمخدرات والنباتات السامة والمشتقات الحيوانية في مختلف الجامعات والمؤسسات والمستشفيات في مختلف مناطق المملكة وخارجها.
- حكم مشروعات بحثية عدة لعدد من الجامعات المحلية والعالمية.
- حكم عدداً كبيراً من الأبحاث للنشر في مجلات عالمية محكمة.
- ناقش عدداً من رسائل الماجستير والدكتوراه لعدد من طلاب الدراسات العليا داخل المملكة وخارجها.
- شارك في ندوات تلفزيونية عدة عن طب الأعشاب والمخدرات داخل المملكة وخارجها.
- شارك في عدد كثير من البرامج الإذاعية عن الطب البديل وطب الأعشاب والمخدرات داخل المملكة وخارجها.
- حصل على مئات الدروع وشهادات التقدير من مختلف الجهات الحكومية والخاصة داخل المملكة وخارجها نظير مجهوداته في توعية المجتمع.

المؤلفات:

- النباتات السعودية: دراسة كيميائية وبيولوجية (إنجليزي) مؤلف مشارك.
- النباتات السعودية المستخدمة في الطب الشعبي. مؤلف مشارك.

obeikandl.com

- المخدرات (الأخطار – المكافحة – الوقاية – العلاج) مؤلف مشارك (أول).
- المعجم العربي للمواد المخدرة والعقاقير النفسية. مؤلف مشارك (أول).
- النباتات الطبية في المملكة العربية السعودية - جزءان (إنجليزي) مؤلف مشارك (أول).
- الطب والعطارة (الجزء 11) من موسوعة الثقافة التقليدية في المملكة العربية السعودية. مؤلف مشارك (أول).
- النباتات السامة في المملكة العربية السعودية. مؤلف مشارك (أول).
- موسوعة جابر لطب الأعشاب (المكونة من أربعة أجزاء).
- ألف سؤال وجواب في علم الأعشاب.
- صحتك في الفيتامينات والمعادن.
- الطب البديل مكمل للطب الحديث.
- الجهاز المناعي وتأثيره على صحة الإنسان.

يصدر قريباً:

- أعشاب الموت: قصص من الواقع.

obeikandl.com